روائع
المسرحيات
العالمية



الذباب
أو الندم

تأليف: جان پول سارتر

ترجمة وتقديم: الدكتور محمد القصاص

المسرح العالمي

اهداءات ٢٠٠١
ا.صلاح راتب
القاهرة

روائع :
المسرحيات
العالميـة

أول مارس
١٩٦٧
٤٢

نصف
شهرية

الذبابْ

أو .. النـــدم

أقرتها لجنة المسرح العالمي

تأليف : چان پول سارتر

ترجمة وتقديم : الدكتور محمد القصاص

مشروع المكتبة العربية ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، وزارة الثقافة

Les Mouches

Pièce de théâtre en trois actes

par

JEAN-PAUL SARTRE

Traduit et présenté

par

MOHAMED EL KASSAS

الذباب

أو الندم

تأليف : چان پول سارتر

ترجمة وتقديم : الدكتور محمد القصاص

تنويه للمترجم

اقدم شكرى للصديق والزميل الكريم

السيد الدكتور ريمون فرنسيس الذى تفضل

فصنف القائمة المشتملة على مؤلفات المؤلف

ومختصر أحداث حياته ، كما قرا المخطوطة

واقترح بعض تعديلات مفيدة .

٢٥ من فبراير سنة ١٩٦٧

محمد محمد القصاص

جان بول سارتر

سيرة حياته :

٢١-٦-١٩٠٥ ولد فى باريس

١٩٠٧ مات والده

– دراسته الأولية فى ليسيه هنرى الرابع –

١٩١٦ تزوجت والدته للمرة الثانية

١٩١٧-١٩١٩ درس بليسيه مدينة لاروشيل

١٩٢١-١٩٢٢ حصل على شهادة البكالوريا بمرحلتيها

يوليو ١٩٢٤ قبل بمدرسة المعلمين العليا «نورمال»

١٩٢٤-١٩٢٨ مدة دراسته بمدرسة المعلمين العليا

١٩٢٩ حصل على اجازة التدريس «الاجريجاسيون»

اكتوبر ١٩٢٩ – يناير ١٩٣١ مدة الخدمة العسكرية فى مدينة تور

فبراير ١٩٣١ عين مدرسا للفلسفة فى مدينة الهافر

١٩٣٣-١٩٣٤ باحث بالمعهد الفرنسى ببرلين

١٩٣٤-١٩٣٦ رجع للتدريس بمدينة الهافر

١٩٣٦-١٩٣٧ بمدينة لان

١٩٣٧–١٩٣٩	قام بالتدريس بليسيه باستير
١٩٣٩	جند فى الحرب العالمية الثانية
٢١–٦–١٩٤٠	وقع فى الأسر فى مقاطعة اللورين
١–٤–١٩٤١	نجح فى الهرب من معسكر الاعتقال بعد حصوله على بطاقة شخصية مزيفة تثبت أنه مدنى
١٩٤١	عاد إلى ليسيه باستير
١٩٤٢–١٩٤٤	درس بليسيه كوندورسيه العالى بباريس
١٩٤٥	منح إجازة لأجل غير مسمى – أنشأ مجلة «الأزمنة الحديثة» – وقام بأول رحلة إلى الولايات المتحدة بوصفه صحفيا .
١٩٤٦	قام بعدة رحلات خاصة الى الولايات المتحدة وبلاد افريقيا وروسيا الخ .
اكتوبر ١٩٦٤	رفض جائزة نوبل للآداب .

مؤلفاته :

١٩٣٦	الخيال (فلسفة)
١٩٣٧	الجدار (قصة)
١٩٣٨	الغثيان (قصة)
١٩٣٩	الجدار (الجدار – الغرفة – ايروستراتوس – علاقة حميمة – طفولة رئيس) مشروع نظرية عن الانفعال
١٩٤٠	الخيالى ، دراسة سيكلوجية فينومينولوجية للخيال
١٩٤٣	الذباب (دراما فى ثلاثة فصول) الفينومنولوجى

ـ دروب الحرية جـ ١ ـ سن الرشد (قصة)
ـ دروب الحرية جـ ٢ وقف التنفيذ (قصة)
ـ جلسة سرية (مسرحية)

١٩٤٦ الوجودية فلسفة انسانية
موتى بدون قبور (مسرحية)
المومس الفاضلة (مسرحية)
تأملات فى المسألة اليهودية
ديكارت (مقدمة ونصوص مختارة)

١٩٤٧ بودلير
لقد تمت اللعبة (سيناريو)
مواقف جـ١ (دراسات متنوعة)

١٩٤٨ الدوامة (سيناريو)
الأيدى القذرة (مسرحية)
(مواقف جـ ٢) القسم الأكبر منها : ما هو الأدب ؟

١٩٤٩ محاولات فى السياسة (بالاشتراك مع دافيد روسيه وجيرار روزنتال)
دروب الحرية جـ٣ الموت فى النفس
مواقف جـ ٣

١٩٥١ الشيطان والرحمن (مسرحية)

١٩٥٢ القديس جونى ممثل وشهيد
الشيوعيون والسلم

١٩٥٣ مشكلة هنرى مارتان (سياسة)

١٩٥٤ كين (اقتباس من مسرحية اسكندر دوماس الأب)

١٩٥٩	نيكراسوف (مسرحية)
١٩٦٠	سجناء الطونا (مسرحية)
١٩٦٠	نقد العقل الديالكتيكى جـ ١
١٩٦٢	الماركسية والوجودية (بالاشتراك مع روجيه جارودى)
١٩٦٤	الكلمات (ذكريات)
	مواقف ٤ ، ٥ ، ٦
١٩٦٥	مواقف ٧
	نساء طروادة (مسرحية مقتبسة من أوريبيدس)
١٩٦٦	فلوبير (على صفحات الأزمنة الحديثة)

مقدمة الطبعة الأولى

چان بول سارتر

والحركة الفكرية السارترية

لعل جان بول سارتر أبعد المفكرين الفرنسيين فى العصر الحاضر أثراً وأوسعهم نشاطاً وأشدهم حيوية ، ولعل مؤلفاته ، فلسفية كانت أم أدبية ، أكثر المؤلفات العصرية ذيوعاً وتوغلا فى جميع الطبقات . فما سر هذا النجاح يا ترى ، مع أن مبادئه ونظرياته كان من شأنها أن تصرف عنه العدد الأوفر من طبقات القراء ؟ فهو خصم الشيوعية اللدود الذى لا يفتر الشيوعيون عن رميه بأخطر سهامهم ، وهو السيف المعلق على رأس البرجوازية والمذاهب الوطنية المتطرفة وأوكار الرجعية ؛ ولذلك لا يفتأ البرجوازيون والوطنيون المتطرفون والاستعماريون المحافظون يرتابون فيه ويرمونه بأفدح التهم . وهو الملحون من جميع الكاثوليكيين لمناهضته لمبادئهم . والراديكيون فى فرنسا ، مع أنهم من أشد الناس عداوة للكثلكة ، يحاربونه بكل الوسائل ، لأنه لا يكف عن طعنهم والمناداة بانتهاء عصرهم .

من ذلك نرى أن سارتر لايلجأ إلى تملق طبقة من الطبقات ، ولا إلى الجرى وراء الجماهير والطوائف والأحزاب لينال من ورائهم غنماً مادياً أو نجاحاً أدبياً زائفاً . إنما يقوم نجاحه على قوة مبادئه ونفاذها ، على حدة آرائه وتغلغلها فى صميم الحياة الإنسانية حتى اليومية منها ، على اتخاذه الإنسان موضعاً لفلسفته

وأدبه ودرسه . يريد أن تكون الفلسفة والأدب خير معين لبنى البشر على رسم صورة العالم الذين يسعدون بالعيش فيه ، على توجيه نشاطهم وتسديد خطاهم نحو نوع الحياة التى يرضاها لهم ويرضون لأنفسهم . وكأنه إذ يخلق مبادئه التى تجر عليه سخط الساخطين من كل جانب ، وإذ يذيع آراءه ونظرياته التى تجعله هدفاً للعنة اللاعنين من كل صوب ، أراد أن يحمل على نفسه أوزار هذا العالم ومثالبه ليخلصه من فداحة ثقلها ، أراد أن يضطلع بخطايا البشر ليتركهم ناعمين . أراد أن ينصب من نفسه مسيحا جديداً يضحى بنفسه فى سبيل خلاص الإنسانية . لكنه إن شابه المسيح فى هذا فقد اختلف عنه فى كل شىء ، بل لعل الفلسفات القديمة وما احتوت عليه من صور الحياة أول ما يريد سارتر أن يهدمه .

قصد سارتر إلى كل هذا وراح يعمل له بشتى الوسائل ويأخذ على نفسه تبعة ما يعمل وما يقول ، «أى أنه يلتزم» . حتى ولو زعم الناس جرماً هذا الذى يعمل وهذا الذى يقول ، فإنه يصر على نسبته إلى نفسه ويعتبره من بواعث كبريائه ، وكأنه لم يعن بأورست، بطل هذه المسرحية التى نقدمها للقراء ، إلا نفسه .

فالحركة الفكرية السرترية ليست ، نظرية فلسفية فحسب ولاحركة أدبية أو فنية فحسب ، بل هى كل حى تغلغل فى أرجاء الحياة اليومية جميعها . وليست الوجودية فى يومنا هذا مسألة أوروبية فقط ، بل مسألة عالمية تشغل عدداً كبيراً من المفكرين وغير المفكرين فى جميع أنحاء المعمورة : من فلاسفة متخصصين وقراء عاديين ، من أشخاص ناضجين وصبية مبتدئين . يروى الأستاذ «جان فال» عند عودته من أمريكا أنه بلغ من اشتغال الأمريكيين بها وإقبالهم على معرفة حقيقتها أن المجلة النيويوركية « مدموازيل » ، وهى مجلة

خاصة بالفتيات من سن السابعة عشرة فأقل ، رأت نفسها مضطرة تحت إلحاح قارئاتها ، إلى أن تخصص بضعة أعداد لدراسة هذه النظرية ومناقشتها . ولكن شيوع الوجودية على هذا النحو بين غير الإخصائيين قد شوهها وأشاع عنها لدى جمهرة الناس أفكاراً غريبة سخيفة لا تمت إليها بصلة . أليست تطالعنا الصحف والمجلات من حين لحين بمقالات يزعم كتابها أنها تشرح آراء الوجوديين وهي إلى العبث أقرب منها إلى الجد ، ويحشونها بالحكايات الخرافية المنفرة التي تفوق الأساطير سذاجة وبعداً عن واقع الأشياء ؟ وقد يكون من أسباب ذلك إكثار كتاب الوجودية من وصف نواحي القبح في الحياة الإنسانية . ولكن ذلك لا يبرر ما يدور على ألسنة العوام من القراء والكتاب من لغو وافتراء عن معنى الوجودية ومراميها ، كالذي يقول سارتر نفسه من أن سيدة فرنسية تعودت أن تقول معتذرة عما يصدر عنها في ساعات الغضب من عبارات غير لائقة : « يبدو أني قد أصبحت وجودية ، » كأن الوجودية والقبح مترادفان !

ولذلك قد يكون من المفيد أن نعطي للقارىء العربي ، في فقرات قلائل ، فكرة مبسطة عن وجودية سارتر مع الإشارة إلى مذهبه في الأدب والنقد .

تقوم الوجودية بجميع مدارسها على فكرة أن الوجود متقدم على الماهية :

فماذا يعني الوجوديون بهذه العبارة ؟ نرى أن خير مايوضحها ذلك المثل الذي ضربه سارتر نفسه في جمع حافل أقيم في نادي « الآن Maintenant » لمناقشة هذه النظرية : إذا نظرنا إلى آلة مصنوعة ، كقطاعة ورق ، رأينا أن صانعها قد صنعها على مثال سابق قائم في ذهنه أو ماثل أمام عينه ، ولكنه على كل حال متقدم في الوجود على الآلة التي تعنينا ، وقد اعتمد الصانع في صنعها على شيء من الفن المهني ، هو طريقة الصنع ، وهو جزء من هذا المثال السابق

الوجود. فقطاعة الورق آلة أخرجت على طريقة خاصة ولغاية محددة . ولا يمكننا أن نتصور إنساناً يصنع قطاعة ورق دون أن يعرف وجه استعمالها . فنستطيع أن نقول إذاً بأن ماهية القطاعة ــ ونعنى بها مجموعة القواعد والخصائص والصفات التى سمحت بإنتاجها على ما هى عليه وإعطائها حدها ــ تسبق وجودها المادى ، ومن ثم كان وجود القطاعة أمام ذاتيتنا محدوداً بحدود وغايات .

يشبّه الإله الخالق عند المؤمنين بوجوده بصانع أعلى : فصورة الإنسان فى تصور الخالق تشبه تماماً صورة القطاعة فى ذهن الصانع . والخالق ينتج الإنسان تبعاً لقواعد فنية ولتصور ذهنى تماماً على نحو ما ينتج الصانع القطاعة تبعاً لحدود وقواعد فنية معينة . وعلى ذلك فصورة كل فرد تعتبر تحقيقاً لمثال تصورته العلة الأولى من قبل أن تخلقه . هذا المثال أو النموذج هو الذى يبرر ما يسميه هؤلاء المفكرون بالطبيعة الإنسانية فكل فرد ليس إلا نسخة خاصة من مثال عام هو ماهية الإنسان . وعلى هذا النحو تكون صورة الإنسان سابقة على وجوده الزمنى الذى نراه فى الطبيعة .

لكن الوجودية التى يمثلها سارتر وهايدجر تعلن أنه لما لم تكن هناك علة أولى ، فلابد أن يكون هناك كائن تقدم وجوده الذاتى على وجود ماهيته . هذا الكائن هو الإنسان ، فالإنسان عنده يوجد أولا ، فيلتقى مع نفسه ويبرز فى العالم ، ثم يصنع نفسه فيعطيها حدها ويختار لها صورتها . وليس الإنسان هو الصورة التى يتصورها لنفسه فحسب ، بل أيضاً ما يريد لها أن تكون ، وهو مجموعة الأعمال التى يقوم بها فى حياته.

ويترتب على سبق وجود الإنسان على ماهية مسئوليته التامة عن مصيره وما يئول إليه . فمسعى الوجودية الأول هو أن تحمل كل إنسان تبعة الحال التى هو عليها ، وأن تقرر مسئوليته التامة عن مصيره . وإذا قالت الوجودية بمسئولية كل شخص عن نفسه ، فليس معنى ذلك أنها تحمله مسئولية شخصه

الفردى فحسب ، بل مسئوليته ومسئولية جميع بنى الإنسان . لأنه إذ يختار نفسه إنما يختار جميع الناس ، ولأن كل فعل من أفعالنا حين يخلق صورة الإنسان التى نريد أن نكون عليها ، يخلق فى عين الوقت صورة الإنسان عامة كما ينبغى أن يكون فى اعتبارنا ، واختيارنا لهذه الصفة أو تلك يعتبر شهادة منا بقيمتها ، بل خلقا منا لهذه القيمة . إذ أننا لا نختار إلا الخير . ولا شىء يكون خيراً لنا دون أن تكون له هذه الصفة بالنسبة للآخرين . وعلى ذلك فمسئوليتنا خطيرة جداً ، أخطر بكثير مما يظن لأول وهلة ؛ لأن التزامنا يلزم الإنسانية بأسرها . فإننى مثلا إذا انضممت إلى حركة سياسية أو اجتماعية مبدؤها التواكل والاستسلام ، فقد قصدت بذلك أن أشير إلى أن التسليم والتواكل هما الحل الذى يليق بالإنسان ؛ ولا أكون بهذا العمل قد ألزمت نفسى فحسب ، بل أردت أن أكون مستسلماً متواكلا لنفسى ولجميع من عداى . وبالتالى كان على ملزماً للإنسانية قاطبة .

هذه الفكرة تمكننا من أن نشرح للقراء معنى عبارات ثلاث كثيرة التردد على ألسنة الوجوديين ، وتحتل بدلالاتها مكاناً رئيسياً فى المذهب الوجودى ، وإن كان الكثيرون من البسطاء أو الماجنين أو عشاق الحكايات الشاذة قد شوهوها وراحوا يطعنون بها على المذهب . هذه الكلمات هى : الضيق أو القلق ، والهجران ، واليأس .

لا تنفك الوجودية عن القول بأن الإنسان قلق دائم ؛ لأن الوجودى الذى يلتزم ، وهو على بينة من أنه لا يختار لنفسه فقط بل للإنسانية قاطبة وأنه يشرع للناس أجمعين ، لا يستطيع الفرار من شعوره بالمسئولية ، ومن ثم لابد أن يكون فى حال من القلق الدائم . نعم ، نرى بعض الناس لا يبدو عليهم أى قلق ؛ ولكن سارتر يقول بأن هؤلاء يسترون قلقهم عن أنفسهم ويفرون منه . ونرى

ونرى آخرين يزعمون، إذ يسلكون مسلكاً ما ، أنهم لا يلزمون إلا أنفسهم . والواقع أننا لو سألناهم قائلين : وإذا فعل الناس جميعاً مثل ما تفعلون ؟ أشاحوا بوجوههم هرباً أو أجابوا مغالطة : ولكن الناس لا يفعلون مثل ما نفعل. والحقيقة أنه على كل إنسان ألا يكف عن سؤال نفسه : ماذا يكون الحال لو أن كل إنسان سلك مسلكي هذا ؟ ولا يستطيع الفرار من هذه الفكرة المشحونة بالقلق إلا من يغالط نفسه عن سوء قصد . فالذى يكذب مدعياً أن الناس لن يفعلوا مثل فعله لا يكون فى وئام مع نفسه ، لأنه لما كذب فقد خلع على الكذب قيمة مطلقة ترشحه لأن يكون من فضائل الإنسان ، وكل شخص يفعل ما يفعل وكأن أعين الناس منصبة عليه ليحذوا حذوه ؛ لذلك كان لزاماً عليه أن يسأل نفسه دائماً : أأنا ذلك الذى من حقه أن يسلك مسلكاً من شأنه أن يكون مثالا تحتذيه الإنسانية جمعاء ؟ ولا يغفل عن ذلك إلا من يخفى عن نفسه ما يعتريها من قلق .

والإنسان حين يختار ، يختار بكل حرية ولا يعينه شيء آخر غير هذه الحرية . لأن الوجودية ، كما رأينا ، تنفي كل احتمال لوجود قيم سابقة مسطورة فى عليا سمائها ، نقيس عليها أعمالنا وتكون لنا نبراساً نستضىء به فى حياتنا وعذراً نبرر به سلوكنا . فالإنسان وحيد فى هذا العالم لا يجد فى نفسه ولا خارج نفسه ، متكأ يتكىء عليه ولا عذراً يعتذر به . إذ لما كان يوجد أولا ثم لا يفتأ يصنع نفسه ، أو بعبارة أخرى لما كان الوجود يسبق الماهية ، فقد انتفى كل إمكان للرجوع إلى طبيعة إنسانية مشتركة بين جميع البشر وجبل عليها كل فرد لنستوضحها غايتها وتكون لنا عذراً عند اختيارنا ما نختار. فليس هناك من مرشد . ليس هناك من قاض ولا معذر ، ليس هناك من جبرية ، لا من الطبيعة ولا مما فوق الطبيعة . الإنسان ملقى حبله على غاربه ، لا يجد فى جبلته ما يستطيع أن يثوب إليه ويسترشده . فأنى لنا أن نجد أمامنا أو من خلفنا فى

مملكة القيم المشرقة هادياً أو مبرراً أو معذراً ؟ الإنسان حر ، الإنسان هو الحرية.
وهذا ما يسميه سارتر بالهجران . وهو ترك الإنسان إلى نفسه وانعدام ما يمكن أن يخلصه منها . وهو يقضى بأن نختار أنفسنا وحدنا دون معين ، ويسير جنباً إلى جنب مع حالة القلق التى أشرنا إليها .

أما اليأس فعبارة يسيرة المدلول ، خالية من كل تعقيد . ومعناه أننا نختار غير معتمدين إلا على ما يتعلق بإرادتنا ، وعلى مجموعة الاحتمالات التى تجعل عملنا ممكناً . لأننا كلما أردنا شيئاً بدت أمامنا طائفة من عناصر الإمكان ، أعنى من العناصر التى تسمح بإمكانية تحققه ، فيجب التعويل عليها . ولا معنى لهذا التعويل إلا أن نمهد لها بعملنا لتسير فى خدمتنا وتخضع لما نريد . لأنه لا توجد قوة أخرى غير قوتنا لتخضع العالم بممكناته لإرادتنا . ولعل ديكارت لم يرد بعبارته المشهورة : « لأن يهزم الإنسان نفسه خير من أن يهزمه العالم » ، إلا أن يقول : إن على الإنسان أن يعمل دون أمل محقق . وليس معنى اليأس أن المذهب الوجودى ، كما ادعى معارضوه ، يغرى الإنسان بالاستسلام والكسل . بل معناه أن على الإنسان أن يلتزم بعمل يختاره ثم يسير فيه تبعاً للمثل القائل . « ليس من حاجة إلى أمل للمسير فى عمل » . بل إن الوجودية تذهب إلى أبعد من ذلك ، إذ تقرر أنه لا توجد حقيقة إنسانية واقعية إلا فى العمل ، وأن الإنسان ليس إلا سلسلة من المشروعات وإلا حاصل هذه المشروعات وبنيتها ومجموعة الملابسات والمساعى التى كونتها ونفذتها ، وأن الإنسان لا يوجد إلا بقدر ما يخلق نفسه . الوجودية تؤئس المرء من كل ما هو سراب خداع لتحمله على الإيمان بنفسه .

والآن نختتم هذا العرض المبسط بوقفة قصيرة عند هذا الاعتراض الذى يقذف به فى وجه الوجودية ، والوجودية السرترية بوجه خاص ، كل مشهر

عليها ، تارة عن سوء قصد وتارة عن سوء فهم . ونعنى القول بإغراق هذا المذهب فى الذاتية التى تحبس الإنسان فى فرديته وتقطع كل صلة بينه وبين بنى جنسه ، أى أنها تعمل على الترويج لروح الفردية . والواقع أن نقطة البدء فى الفلسفة الوجودية هى ذاتية الفرد ، وأن الحقيقة الأولى عندها هى اكتشاف الفرد لذاتيته . وذلك أنها لا تُعنى بأن تقيم بناءها على مجموعة من المبادىء الجميلة الطافحة بالأمل لخير الإنسان دون أن يكون لها أساس من الحقيقة . ولا يمكن أن توجد حقيقة يستطاع البدء منها إلا هذه الحقيقة المطلقة التى تنحصر فى الإدراك الإنسانى يصل إلى نفسه دون وسيط . وكل نظرية فلسفية تعتبر الإنسان فى غير هذه اللحظة التى يدرك فيها نفسه ويتحقق من وجوده تحقق تعيين لا تكون قائمة على يقين ، لأن جميع المدركات ، فيما عدا هذه الحقيقة الأولى ، أعنى جميع الأشياء التى يقع عليه إدراكنا ، ليست يقينية بل احتمالية . فكل نظرية تدور حول هذه الأشياء إنما هى نظرية تشتغل بالمحتملات ؛ وكل نظرية تشتغل بالمحتملات ولا تقوم على أساس من اليقين لابد أن تنهار إلى عدم . إذ لابد من الحصول على اليقين لتحديد المشكوك فيه . ومن ثم كان البدء بهذه الحقيقة الأولى أمراً لا مناص منه فى كل فلسفة ؛ لأنه لابد من الحصول على الحقيقة المطلقة للوصول إلى حقيقة أخرى (نسبية) . وهذه الحقيقة سهلة قريبة المنال ، فى متناول كل إنسان ؛ لأنها تنحصر فى إدراك الإنسان لذاته دون وسيط . بل هى عين الحقيقة الديكارتية (cogito) : Je pense, donc je suis. أفكر إذن فأنا موجود . » لذلك لا ندرى لماذا ينكرها مدعو الفلسفة الكلاسيكية عند سارتر ، بينما يهللون لها عند ديكارت . الواقع أنه لا يمكن أن يتبرم بها ، من غير المركسيين ، إلا واحد من اثنين ؛ : إما فاشل عز عليه أن يكون هو المسئول عن فشله ، لما كانت الوجودية تضعه أمام مسئوليته وجهاً لوجه ، وتأبى عليه أن يعتذر بأية جبرية فسيولوجية أو اجتماعية ، من الطبيعة أو مما وراء

الطبيعة ، وإما سيء النية أقلق خاطره قول الوجودية بحرية الإنسان وجعلها له حداً ، فظن أنه مستطيع أن يحجب عن الناس نور الحرية بإنكاره أولى الحقائق الإنسانية ، وإن اعترف بها فى غير هذا المذهب . وما علم هذا المنكر أنه بإنكاره إياها إنما يحالف المذاهب المادية ويروج لها . لأن النظرية المادية دون سواها هى التى تنفر من هذه الحقيقة الديكارتية ؛ إذ تنظر إلى جميع بنى الإنسان ومنهم « الأنية » نظرتها إلى الأشياء ، أى على أنهم مجموعة من الانعكاسات الجبرية لا تتميز بشىء عن مجموعة الصفات والظواهر التى تكون الكرسى أو الحجر مثلا . أما الوجودية فإنها ، بصدورها عن ذاتية الفرد ، تسعى إلى أن تؤسس مملكة الإنسانية على قيم تميزها عن مملكة الأشياء . بل إن الذاتية التى يقع عليها سارتر على أنها حقيقة أولى أقل فردية منها عند « ديكارت » و « كانت »*. فعند سارتر لا يكتشف الإنسان فى هذه الحقيقة الأولى وجوده الفردى وحده ، بل يكتشف معه وجود الآخرين . إذ أننا ندرك أنفسنا فى مواجهة غيرنا ، ويكون غيرنا يقينا لنا كذاتنا تماماً . فالإنسان الذى يكتشف نفسه مباشرة عن هذه الطريق يكتشف الآخرين أيضاً ، يكتشفهم كشرط لوجوده ، لأنه يصير على بينة من أنه لا يستطيع أن يكون شيئاً ، أى أن يكون على هذه الصفة أو تلك ، دون أن يعترف الآخرون بأنه كذلك . فوجود الآخرين ضرورى لوجودى ولما أعرف عن نفسى ، واكتشافى لباطنيتى فى هذه الحال يكشف لى عن نفسى وعن الآخرين كحرية موضوعة فى مواجهتى لا يمكن أن تفكر أو أن تريد إلا لى أو على . ومن ثم ترانا نكتشف على الفور عالماً مشتركاً متشابكاً يسميه سارتر « تشابك الذاتية . » وفى هذا العالم يحكم الإنسان بما يكون هو وبما يكون الآخرون . وفى هذا ما يدحض اعتراض المركسين ومن لف لفهم ، عن شعور أو عن غير شعور ، بأن الوجودية تعمل على قطع كل صلة بين الأفراد ، وأنها تؤدى إلى سيادة روح الفردية والراديكالية التى طغت

فى أوربا فى أواخر القرن الثامن عشر وفى القرن التاسع عشر . وإذا كانت تنكر كل وجود لطبيعة إنسانية جبل عليها الانسان منذ البداية ويشترك فيها مع جميع أفراد جنسه ، مما قد يفهم منه إنكارها لعمومية الإنسان ، فإنها ، فضلا عن فهمها للذاتية على النحو المتقدم ، تقرر اشتراك الناس جميعاً فيما تسميه « الوضع الإنسانى [La condition humaine] » وتعنى به مجموعة الحدود التى توجد بادئ ذى بدء وتخطط للإنسان ، أياً كان ، معالم وضعيته situation . وهذه الحدود هى : كون الإنسان فى هذا العالم أمام العمل ضرورة ، ووجوده فيه بين الآخرين وكونه فانياً . إذ أن كل إنسان قد يختلف فى وضعيته التاريخية عن غيره : فقد يولد سيداً أو عبداً ، فى مجتمع كتابى أو وثنى ، عاملا أو صاحب أعمال ، ولكنه لا يختلف عن غيره فى تلك الحدود التى قدمناها والتى تكون وضعه الإنسانى من حيث هو إنسان . غير أن هذه الحدود موضوعية من قبل أنها عامة مشتركة ، وذاتية من قبل أنها ليست شيئاً إذا لم يحيها الإنسان ، أى إذا لم يصور صورته بكل حرية فى حياته بالنسبة لها .

بعد هذا العرض المبسط المقتضب للمذهب الوجودى السرترى ، الذى حرصنا كل الحرص على أن يكون خالياً من المصطلحات الفنية الغربية على غير المتخصصين ومن التعقيدات الميتافيزيقية التى لا تلزم لغير دارسى الفلسفة ، نقول كلمة فى مذهب سارتر الأدبى ، وهو قائم على فلسفته التى أشرنا إليها :

أظهر ما يتميز به هذا المذهب قوله بالتزام الآداب ، ولكنه يفرق بين الشعر والنثر لرأى له فى الشعر لا نستطيع التعرض له هنا خوف الإطالة . أما النثر عند سارتر فهو أداة ينتفع بها ، والناثر عنده هو الشخص الذى يستخدم الألفاظ لهذه الغاية . وإذا كانت الكلمات عند الشاعر كأنها « أشياء »

تراد لذاتها ، فإنها لدى الناثر علامات تدل على الأشياء . وإنا نعدنا ناثرين «إذا رأينا نظرنا» ، كما يقول بول فلرى ، «عند الكلام أو الكتابة تخترق الألفاظ لينفذ منها إلى ما وراءها كما تخترق الشمس لوح الزجاج » . فليس يعنينا إذن أن تكون العلامة مرضية أو غير مرضية ، بل يعنينا أولا وقبل كل شيء أن تشير إشارة صحيحةإلى شيء ما فى هذا العالم ، أو إلى تصورما من التصورات التى نريد أن نسميها . ومن ثم قد نجدنا قابضين على زمام فكرة من الأفكار لقنا إياها فىكلمات وعبارات، دون أن نذكر كلمة واحدة من الكلمات التى نقلتها إلينا ، لأن اللغة بالنسبة للناثر ليست إلا آلة من الآلات . والإنسان إذا وجد نفسه فى خطر أو فى موقف عسير فإنه يقبض على أية آلة تقع عليها يده ، وقد لا يدرى ، بعد أن زال الخطر ، أكانت هذه الآلة فأسا أم مطرقة أم غير ذلك ، لأنه إنما أراد شيئاً يزيد به من امتداد جسمه ، أراد لنفسه أصبعا سادسة أو ساقاً ثالثة ، أراد وظيفة بحتة ينتحلها ويكمل بها وظائف أعضائه لتمكنه — على حد تعبير الفلسفة الوجودية — من الامتداد خارج حدوده . وهكذا حالنا مع اللغة ، فهى ذرعنا وحاسة من حواسنا ؛ تحمينا من الآخرين ، وتخبرنا عنهم . وحالنا مع اللغة كحالنا مع أجسامنا ، لا نكاد نحسها حتى نتعداها إلى غاية أخرى ، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا فى حالة مشروع ما من قبلى إلى الآخرين أو من قبل الآخرين إلى ؛ لأن الكلام لحظة من لحظات الفعل ، ولا يمكن أن يفهم دون فعل أو قصد شروع فى فعل .

وإذا كان النثر هو الأداة السعيدة للالتزام فى مشروع ما ، للاتجاه فى طريق من الطرق وتوجيه الآخرين فيه ، وإذا كان من شأن الشاعر دون الناثر أن يتأمل الكلمات دون غرض ، فقد حق لنا أن نسأل هذا الأخير : لأى غاية تكتب ؟ وفى أى مشروع التزمت لما مارست الكتابة ؟ ولماذا قد

اضطرك هذا إلى أن تلجأ إلى الكتابة دون سواها ؟ فمثل هذا المشروع لا يمكن أن تكون غايته التأمل البحت ، لأن وحي الفطرة صمت واللغة غايتها التبليغ . أجل ، قد يرغب الإنسان فى أن يسجل لنفسه ما توحي إليه فطرته ، ولكنه يكفيه فى هذه الحال أن يخط بضع ملاحظات عاجلة على الورقة ، لأنه لا يعدم أن يذكر خواطره كلما رجع إليها . أما إذا راح يجمع الكلمات فى جمل يتوخى أن تكون واضحة ، فلا بد أن أمراً آخر غريبا عن وحي الفطرة وعن اللغة نفسها قد دفعه إليه ، وذلك هو عزمه على أن يبلغ النتائج التى وصل إليها إلى الآخرين . هذا العزم هو الذى ينبغى أن يسأل عن علته . وما عسى أن يكون غير الكشف عن وضعية ما من وضعيات هذا العالم ؟ وهذا فى رأى سارتر لاصق بطبيعة الفن الكتابى . فيرى أن الخطأ كل الخطأ فيما يتوهمه أصحاب نظرية الأسلوب البحت من أن الكلمات نوع من النسيم يمر على سطح الأشياء فيمسها مساً خفيفاً دون أن يغير فيها شيئاً ، ومن أن المتكلم ليس إلا شاهداً يلخص مشاهداته البريئة فى كلمات . بل الحقيقة أن كل شيء يسميه الكاتب يصبح على غير ما كان عليه قبل أن يسميه . فإذا سمينا لإنسان مسلكه ، كشفنا له عنه وكشفناه للآخرين فى عين الوقت ، فيعلم فى اللحظة التى يرى فيها نفسه أن الآخرين يرونه أيضاً ، ويتجسم فجأة فى عينه وفى عين الآخرين هذا المسعى المستور الذى كان ينساه وهو متلبس بفعل ما يفعل ، ويتخذ له أبعاداً جديدة . فكيف له بعد ذلك أن يسلك نفس المسلك الذى كان يسلكه من قبل ؟ فهو إما أن يثابر عليه بنوع من الإصرار وهو على بينة مما يفعل وإما أن يعدل عنه .

★ وهكذا يتكلم المتكلم فيرفع الستار عن وضعية ما بقصد تغييرها . فالكتابة عبارة عن كشف الكاتب للعالم وتقديمه للقارىء ليعمل فيه حريته .

والكاتب قد اختار أن يكشف عن العالم وعن الإنسان لنفسه ولغيره من البشر ليحملوا مسئوليتهم كاملة أمام ما كشف لهم . ومن هنا نرى سارتر يشبه الكاتب بناشر لائحة القانون التي بفضلها لا يجوز لأحد أن يعتذر بجهله بالقوانين . فإذا حدثته نفسه بعد ذلك بمخالفتها ، فعل مايحلو له وهو على بينة من نتيجة فعله . كذلك وظيفة الكاتب توجب عليه أن يعمل على ألا يبقى إنسان جاهلا بصورة العالم الذى يعيش فيه ، وعلى ألا يكون بريئاً من مسئوليتها . وإذا كان الكشف وإزاحة الستار يستتبعان التغير ، فقد تحرر الكاتب الملتزم من هذا الحلم المستحيل بأن يرسم للمجتمع وللوضع الإنسانى رسما محايداً . لأن الإنسان هو الموجود الوحيد الذى لا يمكن لكائن ، ولو كان إلهاً ، أن يقف منه موقف الحياد . ومن ثم نلمس خطأ أصحاب المذهب الواقعى حين يذهبون إلى أن الواقع ينكشف لدى التأمل ، وبالتالى حين يحاولون أن يرسموا للعالم صورة تخلو من ذاتية الراسم ، صورة محايدة . وكيف يمكن ذلك والإدراك نفسه — فى نظرية سارتر — غير محايد ؟ وإذا كانت تسمية الشىء مجرد تسمية تؤدى به إلى التغيير ، كما ذكرنا ، فكيف يتأتى للكاتب أن يقدم لنا عالماً هو براء منه برأيه وحسه وعاطفته ؟ كيف يجوز له ، وقد أراد أن يكون ضرورياً للكون ، أن يكون ضرورياً له بما فيه من نقص ومن جور ومن طغيان ؟ لا ، بل يجب أن يبديه لنا فى عجينته العميقة أقصى العمق ، وأن يشده من طرفيه بحرية غايتها حرية الإنسان . وإن لم يكن هذا العالم الذى يقدمه الكاتب إلى حرية القارىء لتخلقه خلقاً جديداً مدنية الغايات التى ننشدها ، وجب على الأقل أن يكون خطوة نحوها ، أن يكون صيرورة دائمة ، وأن يعتبر ويعرض لا على أنه كتلة ساحقة تنوء بها ظهورنا ونتضاءل أمامها ، بل من جهة مجاوزته لحدوده التى ينحصر بينها ، وخروجه منها نحو مدينة الغايات تلك . وطبعاً لا يمكن أن يكون التعبير عن ذلك بإلقاء المواعظ

«والخطب البارة» وعرض الشخصيات الفاضلة ، بل «لا يصح أن يظهر فى العمل الفنى أى أثر لتدبير سابق ، وفإن شر الأدب ما قام على العواطف الفاضلة» ، كما قال جيد . إنما يجب على الكاتب أن يلون بذاتيته صورة العالم التى يقدمها إلى جمهور قرائه ، حتى إذا عرضها عليهم بما فيها من محاسن ومثالب لم يسعهم أن يتأملوها ببرود تام ، ولم يستطيعوا إلا أن ينعشوها بحبهم إن كانت فاضلة ، وبحنقهم إن كانت جائرة ، على أنها من سوء التصرف الذى يجب القضاء عليه . وهكذا لا ينكشف عالم المؤلف إلى أقصى أعماقه إلا لامتحان القارىء ، إلا لحبه وحنقه وإعجابه ؛ والحب الحر عهد بالاستبقاء ، والحنق الحر عهد بالتغيير ، والإعجاب الحر عهد بالمحاكاة . فمع أن الأدب شىء والأخلاق شىء آخر ، فإننا نلمس جوهر الوازع الخلقى فيما يقضى به الجمال عند سارتر .

ليس أمام الكاتب إذن ، وهو رجل حر ، سواء أكان قصاصاً أم كاتبا مسرحياً أم كاتب مقالة ، وسواء أتكلم فى عواطف فردية أم اشتغل بنظام المجتمع السياسى والاجتماعى ، ليس أمامه إلا موضوع واحد : ألا وهو الحرية ، الحرية التى هى حد الإنسان ، إذا أمكن للإنسان أن يعرف بحد . لذلك إذا سئل سارتر : بماذا يلتزم الأديب ؟ أجاب على الفور : بالدفاع عن الحرية . فهل معنى ذلك أن ينصب الكاتب من نفسه حارساً أمينا على قيم مثالية ، على الحرية بمعناها العام المجرد ؟ يمكننا أن نجيب على هذا السؤال بنعم ولا فى آن واحد . بنعم ، لأن الأصل فى الفنان أن يخاطب جميع بنى الإنسان فى كل زمان ومكان . ولكن ذلك لا يمكن أن يكون إلا إذا خلا العالم من كل ما يكبت حرية الإنسان ، سواء أكان الكبت صادراً من ذاته أم من المجتمع الذى يعيش فيه . وبلا ، لأن الكاتب يكتب ويعلم أنه يكتب من أجل

حريات بذاتها مشخصة ، حريات مدفونة أو محجبة أو معطلة . بل إن حريته نفسها ليست نقية ، فهو يكتب لتنقيتها . أما تعجل الكلام فى القيم الخالدة ، فى القيم الأزلية الأبدية فشىء محفوف بالخطر بقدر ما هو بالغ فى السهولة ؛ لأن القيم المجردة شىء عار كل العراء . والحرية إذا اعتبرناها معنى مجرداً جامداً ، كانت كالغصن الجاف ، وهى لدى الحقيقة كالبحر فى بدء مستمر ، لأنها ليست إلا الحركة التى تنحصر فى تحرير الإنسان من نفسه وتحريره لنفسه على الدوام . فليست هناك من حرية موهوبة ، وإنما هى انتصار المرء الدائم على شهواته ، وعلى جنسه وعلى طبقته الاجتماعية وعلى وطنه . وهى جملة ما يحرز المرء من انتصارات على كل هذا لنفسه ولكل من عداه . أما إذا أراد الكاتب أن يهرف وأن يتغنى فى الفضاء بأشياء لا وجود لها فى الواقع ، فليتكلم فى هذه الحرية المطلقة ، وذلك المعنى التجريدى الخالد الذى تدعى كل المبادىء والمذاهب أنها تسعى إليه من فاشية وشيوعية وديمقراطية ، ولا خطر عليه فى ذلك ، لأنه لن يضايق إنساناً ولن يتوجه كلامه فى الحقيقة إلى إنسان . بل سوف يسلم له الجميع بكل ما يقول . ولكن هذا حلم مستحيل التحقق ؛ لأن الكاتب ، أراد أم لم يرد ، لابد أن يتكلم إلى معاصريه ومواطنيه ، ولابد أن يخاطب قراء معينين ابتداء من وضعية بعينها .

ويقول سارتر إن الذى يعين للكاتب قراءه هو اختياره للصورة التى يريد أن يكون عليها هذا العالم ، وبالتالى اختيار الكاتب لقرائه يرشده إلى موضوعه . لأن حرية الكاتب وحرية القارىء تبحث كل منهما عن أختها ، وتؤثر عليها من خلال عالم ما . وهنا نجدنا أمام نظرية جديدة فى دراسة التاريخ الأدبى ، ألا وهى تفسير الآثار الأدبية على ضوء جمهور القراء الذين أريدت لهم . ويكون من أول واجبات من يتصدى لدراسة تاريخ الأدب أن يبحث عن

حالة القارىء فى فترات التاريخ المختلفة ، ولاسيما من الناحية الاجتماعية والميتافيزيقية .

قد يعيب البعض على هذه النظرية طابعها غير المباشر ، ويقدم عليها نظرية «تين» التى تجعل للبيئة أثرها الجبرى فى طبع الأديب بطابعه . وقد يذهب آخرون إلى أنها عين نظرية «تين» سميت باسم آخر . وهذا باطل لأن سارتر يرفض ويلح فى رفض كل ما يشتم منه روح الجبر للإنسان ، ومن قرأ العرض المقتضب الذى صدرنا به هذه المقدمة ، ورأى ما يقرره من أن الإنسان هو الذى يخلق صورته بنفسه ، يفهم بسهولة بعد نظريته عن نظرية «تين» المادية التى تقول إن البيئة تصنع الأديب على الحالة التى يكون عليها . أما القارىء عند أديب الوجودية ، فلا يفعل أكثر من أن يدعو الأديب ، بدافع وضعيته ، إلى هذه الحال ، ومن أن يوجه نداءه إلى ما فيه من حرية أصيلة هى لب الإنسان وجوهره . لأن جمهور القراء يمكن أن يشبه باستفهام يطلب الجواب أو بفراغ يراد ملؤه ؛ ولكنه لا يفرض قانونه الجبرى على الكاتب كما تفعل البيئة فى نظرية «تين» . وينظر سارتر إلى موضوعات الكتابة على أنها أبواب مفتوحة دائماً ، على أنها دعوات ضارعة إلى الكاتب ، على أنها ضوال تنشده وتعلق عليه آمالها .

نرى أن نقف من التعريف بآراء الفيلسوف الأديب إلى هذا الحد ، وإن كنا على بينة بما فى هذا العرض من إجمال واقتضاب نرجو ألا يخلا بغرضنا من كتابة هذه المقدمة . وهو اقتضاب اضطررنا إليه اضطراراً ، حتى لا تطغى المقدمة على الكتاب .

وقد يدهش القارىء من أننا لم ننقل شيئاً عن مسرحية «الذباب» نفسها ، ولكنا آثرنا ، مؤقتاً ، أن نقدمها للقراء دون تعليق ولا تفسير حتى لا نتعجل

بإملاء رأينا على قارىء قد يستخلص غيره بنفسه بعد قراءته للمسرحية وللمقدمة . ونكتفى الآن بأن نقول إنها ترجمت، منذ خروجها ، إلى لغات الثقافات الكبرى جميعاً . وأنها قدمت للتمثيل فى فرنسا ، وهى ترزح تحت كلاكل الاحتلال الألمانى . قام بإخراجها واشترك فى تمثيلها المأسوف على حياته «شارل ديلان» ، وكان من أساطين المسرح الفرنسى فى جميع العصور ، ومديراً لمسرح «ساره برنار» الحكومى . وظلت تعرض على الخشبة أكثر من ثمانية عشر شهراً ، لم يخل فى أثنائها مكان فى المسرح من الرواد الذين كانوا يستخفون بظلام باريس الدامس وبقنابل الطائرات الحربية تنهال فوق المدينة ليشاهدوا الباكورة الأولى لطراز جديدمن الفن والتفكير .

فنرجو أن تلاقى من قراء العربية ونقادها ، مهما كان رأيهم فيها ، ما تستحقه من عناية قد تسمح للمترجم بأن يتابع إخراج الآثار التى أصدرها كاتب الوجودية الأكبر ودراستها .

محمد القصاص

مقدمة الطبعة الثانية من الترجمة

جان بول سارتر

ولد جان بول سارتر فى الثانى عشر من شهر يونية سنة ١٩٠٥ من أب فرنسى وأم ألزاسية . وقد توفى والده الذى كان يعمل مهندساً بحرياً ولما يتجاوز جان بول الثانية من عمره، فكفله جده لأمه «السيد شفايتسر» مدرس اللغة الألمانية، ومن هنا كان سارتر أحد أقارب المأسوف عليه الدكتور «ألبرت شفايتسر» الفيلسوف والطبيب الإنسانى زائع الصيت . وقد كان شفايتسر رجلا طيب القلب ، ولكنه كان يقدس العمل ، شديداً على نفسه وعلى الآخرين ، غيوراً على سلطانه كرب أسرة تقليدى . ولذلك أحس الطفل جان بول دائماً بمرارة اليتم ، وعانى كثيراً من الناحية النفسية .

وكان هذا الجد بروتستانتى المذهب ، وهذا هو مرجع طابع الكلفنية الذى تتسم به المسائل الخلقية التى يثير سارتر فى أعماله بالرغم من أنه ولد كاثوليكياً تبعاً لمذهب أبيه . وكان فى الحادية عشرة من عمره، حين تزوجت أمه مهندساً بحرياً آخر ، فانتقل معها للعيش فى ميناء لاروشيل الفرنسى حيث يعمل زوجها . وهناك تعهدته مربية ألمانية رءوم حبته الكثير من حنانها ورعايتها مما عوضه بعض الشىء عن قسوة السنين التى قضاها فى رعاية جده . ويرجع الفضل إلى هذه المربية وإلى جده فى إجادته اللغة الألمانية إجادة دعمتها دراسته

للفلسفة الألمانية الحديثة خلال سن شبابه بالمعهد الفرنسى ببرلين . أما فى لاروشيل فقد ألحق بليسيه المدينة التى بقى بها حتى سن الرابعة عشرة ، حيث نقل إلى ليسيه هنرى الرابع الشهيرة فى باريس .

وفى التاسعة عشرة من عمره التحق بمدرسة النورمال العليا بباريس بعد أن حصل على شهادة البكالوريا من القسم الأدبى بتقدير يدور حول « المتوسط » وفى سنة ١٩٢٨ حين تقدم لمسابقة التخرج للحصول على شهادة الأجريجاسيون لم يواته الحظ ، فرسب فيه . ولكنه فى السنة التالية اجتاز الامتحان بتفوق وكان ترتيبه الأول على جميع الناجحين .

وقبل أن يغادر الجامعة كان قد ربط حباله بزميلة له تخرجت فى نفس دفعته ، وكانت الثانية فى الترتيب على زملائها ، وتصغره بثلاث سنوات ، وهى « سيمون دى بوفوار » . فاتفقا على العيش سوياً فيما يشبه الزواج العرفى ، ولكن دون عقد رسمى ، وذلك لنفورهما التام من محاكاة التقاليد البرجوازية التى تتطلب عقداً وطقوساً معينة . بعد ذلك استدعى سارتر لأداء الخدمة العسكرية ، ولكن ضعف بصره أعفاه من قضائها فى أعمال التدريب العسكرية الحقيقية ، فقضاها كاتباً فى إدارة الأرصاد التابعة للجيش فى مدينة طور . وبعد الخدمة عين مدرساً للفلسفة فى ميناء الهافر أولا ومنها نقل إلى ليسيه مدينة لان فى شمال غرب فرنسا ، كما عينت سيمون فى نفس الوظيفة بمدينة أخرى من مدن الأقاليم . وكان لهذا الفراق الطويل أثر سيىء على حالتهما المعنوية جعلهما يفكران جدياً فى الزواج الرسمى ، ولكنهما تراجعا عن الفكرة إصراراً منهما على عدم التشبه بالبرجوازيين ، ولا سيما أنه لم يكن فى عزمهما أن ينجبا أطفالا . ذلك أن عداء سارتر وسيمون للبرجوازية كان فى أول أمره عداء سلوك وتقاليد أكثر منه عداء سياسياً . بل إنهما كانا فى ذلك الحين لا يأبهان بالسياسة . فقد روى

عن سارتر أنه لم يدل بصوته فى انتخابات سنة ١٩٣٥ إبان حكومة الجبهة الوطنية اليسارية، مع أنه كان هو نفسه من اليساريين . وتعلل سيمون دى بوفوار ذلك فى كتابها عنفوان العمر La force de l'âge التى تتكلم فيه بوجه خاص عن علاقاتها بسارتر خلال هذه السنين فتقول : « فى هذه السن كنا نثق فى العالم وفى أنفسنا . نعم تنفر من المجتمع البشرى بصورته الراهنة، ولكن هذا النفور لم يكن يحمل شيئاً من المرارة أو البغضاء، بل كان بالأحرى يمتد إلى أبعد حد من التفاؤل . كان لابد للإنسان أن يخلق خلقاً آخر، ولم يكن بد من أن يقع على عاتقنا نصيب من هذا الخلق . ولكنا كنا نستثقل الاشتغال بالمسائل العامة، لأننا حسبنا أن الأحداث ستطور من تلقاء نفسنا وفقاً لأمانينا دون حاجة إلى أن نتدخل فيها بأشخاصنا . »

ولكن رأيهما فى هذه النقطة بالذات قد تغير إلى أقصى حد، فأصبحا يريان أن تدخل الكاتب فى الأمور السياسية أول واجباته وأجلها وأخطرها .

غير أن عناية سارتر فى شبابه كانت تتجه كلها إلى المسائل الفلسفية البحتة . وقد سبق أن قلنا أن سارتر استطاع إجادة اللغة الألمانية بفضل جده ومربيته فضلا عن أنه قضى عاماً يدرس الفلسفة الألمانية الحديثة فى المعهد الفرنسى ببرلين، ولذلك نراه قد تأثر ببعض الفلاسفة الألمان، و« بهسرل » و« هيدجر » خاص، ونلمس هذا الأثر بوضوح فى مؤلفاته الأولى فى الفلسفة البحتة بوجه أخص .

وقد اتجه سارتر إلى كتابة القصة وغيرها من فنون الأدب الأخرى إلى جانب البحوث الأكاديمية، لأن القصة — على حد تعبير «سيمون دى بوفوار» ، هى خير ما يتيح للكاتب تصوير تدفق الوجود ؛ والفيلسوف الوجودى أول من يقول بتزاوج الذاتية والزمنية فى كتابته . وقد بدأ كتابة القصة فى طفولته ،

ولكنه لم ينجح فى نشر شىء من أعماله إلا وهو فى الثانية والثلاثين من عمره، حين واتته الفرصة بمعرفة السيد جاستون جليمار صاحب دار جاليمار الشهيرة للنشر. وكانت الغثيان أول قصة له ترى النور، وبعدها تابعت الدار كل ما يقدم لها من عمل أدبى أو فلسفى، حيث كان اسمه قد عرف وطبقت شهرته الآفاق، لا فى فرنسا وحدها بل فى العالم أجمع. وعندئذ استطاع أن يحصل لنفسه على وظيفة مدرس للفلسفة بليسيه باستير فى ينى Neuill من ضواحى باريس القريبة. وهكذا بدأ يتوفر له النجاح الأدبى والمادى، وإن كانت هذه الناحية الأخيرة لا تعنى الكثير بالنسبة له، لأنه يفضل حياة التقشف ويعزف عن البذخ. ولسيمون دى بوفوار الكثير من الأقاصيص والنوادر عن هذا الميل لدى سارتر.

وحين آذنت الحرب العالمية الثانية بالاندلاع، ارتدى سارتر — بطبيعة الحال — ثوب الجندية من جديد، حيث عمل بأرصاد الجيش كما كانت الحال حين استدعى لأداء الخدمة العسكرية، وذلك لضعف بصره الشديد. ولكن ذلك لم يمنعه من الوقوع أسيراً فى يد الألمان لدى زحفهم المنتصر على باريس فى صيف ١٩٤٠. غير أنهم لم يلبثوا أن أطلقوا سراحه لأسباب صحية. ويقول سارتر إنه كان دائم التفكير فى وسيلة للهرب قبل الحصول على هذا الإطلاق. ولم يكد يعود إلى باريس حتى كون خلية للمقاومة مع نفر من أصدقائه وزملائه فى الفن والفكر والأدب، دون الانقطاع عن متابعة نشاطه فى الفكر والكتابة، بل لقد كان هذا النشاط أحد أسلحته فى المقاومة. فقد بدأ يكتب الذباب فى نفس الوقت كان يقوم فيه بتصحيح ملازم كتابه الكبير: الوجود والعدم وكان من المتفق عليه أن يقوم «جان لوى بارو» بتمثيلها، ولكنه أعرض عنها فى اللحظة الأخيرة. فلجأ سارتر إلى «شارل ديلان» الذى تردد فى قبولها، لأن

إخراجها يكلف أموالا طائلة . ولكن شخصاً مشهوراً بوفرة الثراء اسمه « نيرون » تدخل فى الأمر ووعد بتمويلها ، ثم اتضح أنه نصاب مفلس . وكان ديلان قد قطع شوطاً ما فى الإعداد لها ، فلم يشأ أن يتراجع .

ومن الناس من يعجب من أن الألمان فى سنة ١٩٤٣ لم يعترضوا على تمثيلها بالرغم من خطورة هدفها . وقد قيل فى الجواب عن ذلك إن رجال الرقابة النازية قد شغلوا بمضمونها الميتافيزيقى عن مضمونها السياسى ، إلى أن نبههم معاونوهم من الفرنسيين إلى هذه النقطة فأوقفوا تمثيلها .

وكان من نتائج نجاح أعمال سارتر أن استطاع الاستقالة من وظيفته التعليمية فى سنة ١٩٤٤ .

وقد كتب سارتر معظم مؤلفاته فى المقاهى ، ولاسيما فى كافيه دى فلور Café de Flore بشارع سان جرمان دى بريه حيث كان صاحبها قد خصص حجرة فى الدور الأعلى منها لعملائه الأدباء ، فكانوا يستطيعون العمل فيها حتى والمقهى مغلق .

وسارتر من الوجهة الجسمانية — رجل قصير ، بدين نوعاً ما ، أحمر الشعر ، أقرب إلى القبح منه إلى الجمال ، ولكنه فى مجلسه يكاد يسحق الحاضرين بشدة ذكائه وتوقد ذهنه وصراحته فى الحق رغم شدة حيائه .

الندم

أو الذباب

تنحصر النقطة الدرامية الحرجة بالنسبة لهذه المسرحية فى المنظر الذى يجرى بين جوبيتر وأورست من الفصل الأخير. فقد نجح «جوبيتر» فى التأثير على إيلكترا وجرها إلى البكاء ندما. وهو الآن يحاول نفس الشىء مع أورست ويقدم له عرش أرجوس ثمنا لانصياعه لرغباته، وعندما يلاحظ اعتزاز أورست بالعمل الذى ارتكبه فيقول له: «اذهب ولا تصعر خدك صلفا. فقد طرحوك جميعا فى وحدة الهول والهوان، أنت يا أجبن القتلة» يجيبه أورست بقوله: «أجبن القتلة من تسرب الندم إلى نفسه» وحينئذ يستخدم جوبيتر كل حيلة لإقناعه بأن العالم كله إنما يسير على قوانين الآلهة ويدعوه إلى الرجوع إلى أحضان الطبقية، فيجيبه أورست: «أنت ملك الآلهة، ياجوبيتر، وملك الصخور والكواكب، وملك الأمواج فى كل البحار، ولكن لست ملك الإنسان» ويعود جوبيتر فيسأله عمن خلقه إذن، ويجيبه أورست: «أنت، ولكن كان يجب ألا تخلقنى حرا»، لأن حريته تبعده عن متناول سلطة الآلهة، إذا كانت لهم سلطة. ولكن «جوبيتر» يسأله عما إذا كان يعرف أن تمسكه بما يدعى من حرية واستقلال من شأنه أن يجر عليه الوبال ويبعد به عن طريق السلامة، ويجعله كالمنفى، كالشاة الجرباء بين القطيع ويجيبه «أورست» بأنه يعرف ذلك ولكنه مقضى عليه بألا يتبع غير قانونه

فإذا ما أخبره أن مثل هذا الكشف لابد أن يسبب له الألم ، يجيبه بأن الناس أحرار ، وأن الحياة الإنسانية لاتبدأ فى الشط الآخر من اليأس .

وهكذا نرى أن «جوبيتر» هو الشخصية المفتاح فى المسرحية. وقد يكون من الغريب أن يخلع كاتب منكر مثل سارتر على جوبيتر مثل هذه الأهمية . والواقع إن إنكار سارتر من نوع غريب، يختلف فيه عن كل من عداه من المفكرين ، ذلك أنه إن كان قد كف عن الإيمان ، فإن عقله قد احتفظ بالطابع الدينى . وهو نفسه يقول فى ذلك : «إن الوجودى يختلف اختلافا بينا عن القائلين بالأخلاق العلمانية الذين ينكرون وجود العلة الأولى بأبخس الأثمان ، وذلك مافعله الراديكاليون فى فرنسا بعد حرب السبعين حيث قامت طائفة من الأساتذة وحاولوا أن يضعوا مبادىء لأخلاق علمانية ، فقالوا مايشبه هذا القول : «إن وجود العلة الأولى فرض لاجدوى من ورائه ويكلف غاليا ، لذلك ينبغى لنا التخلص منه ؛ ولكن ينبغى أن تكون لنا أيضاً مبادئنا الخلقية ، أن يكون مجتمعنا محكوما بقانون خلقى ثابت ؛ ومن ثم كان من الضرورى أن ننظر إلى مجموعة من القيم على أنها ثابتة ولا مندوحة عنها ، على أنها قيم أزلية ، فيجب أن نعتبر من الضرورى بادىء ذى بدء أن يكون الإنسان أمينا، وألا يكذب، وألا يظلم الجار...الخ. وهكذا إذا فرضنا أن العلة الأولى غير موجودة ، لم يتغير الأمر فى شىء من الناحية السلوكية ، لأننا نعود بالضرورة إلى اكتشاف مبادىء الأمانة والتقدم والإنسانية ، مادام وجودها فى الكون أمرا طبيعيا مقطوعا به منذ الأزل . ولكن الوجودى — على العكس من ذلك — يرى أن فرض وجود العلة الأولى من شأنه أن يوقع الإنسان فى حيرة لا سبيل له إلى الخروج منها ، فيجب إلغاؤه ، وباختفائه تختفى بطبيعة الحال كل وسيلة للعثور على قيم ثابتة.... ولهذا يقول «دستويفسكى» «إذا انتفى وجود الإله أصبح كل شىء جائزا » .

ويرى الكثيرون من نقاد المذهب الوجودى أن هذه القضية التى تعتبر من أسس الفلسفة السرتية قضية خاطئة . فليس من الصحيح أن القيم الخلقية تتوقف منطقيا على افتراض وجود الإله ، وإنما هى تقوم على مسلمات منطقية أولى ، بل إنها من الناحية المنطقية — على عكس ما يرى السارتريون — تسبق الأديان فى الوجود ، وأننا لو لم نتصور بادىء ذى بدء ما هو الخير ، لما تأتى لنا أن نتصور أن الله خير محصن ، وبالتالى لم يتأت لنا أن نعترف بوجود كائن حكيم خير ، قادر على كل شىء ،عالم بكل شىء .

فمن الخطأ الجسيم ، إذن ، فى عرف هؤلاء النقاد ، أن تقلب الأوضاع ، وأن يعتقد بأن فكرة الألوهية أصل لوجود المبادىء الخلقية . نعم يمكن أن يقال بأن المبادىء الخلقية المتواضع عليها فى كثير من المجتمعات تنبعث فى الواقع من الأديان ، وأن هذه المجتمعات ، إذا تخلت عن الدين ، تخلخلت هذه المبادىء فى نفوس أصحابها ، وانتبابتهم الحيرة وربما اختل سلوكهم . ولكن ذلك شىء آخر غير توقف ثبوت القيم على فكرة الألوهية ، ذلك القول الذى ربما كان مرده إلى قوة الطابع الدينى لعقل سارتر ، كما قدمنا . ولذلك نراه يبالغ أشد المبالغة فى القول بضياع الإنسان وهجرانه فى عالم يخلو من فكرة الألوهية . وهذا ما يبدو لأول وهلة فى مسرحية الذباب .

★ غير أن «الذباب» ، فيما عدا ذلك ، تثير بعض النقط الهامة التى لا تخلو من قيمة محققة ، بل لا تخلو من حقيقة ثابتة . فالمبادىء الخلقية ليست من صنع قوة خفية أيا كانت ، وإنما الإنسان هو الذى يصنع قيمه الخاصة به : القوانين الخلقية تقوم على أساس ما يتخذه المرء من قرارات فى الحياة ، ولا تستمد من أى إلهام غيبى . كما أن سارتر على حق أيضا حين نراه يقرر فى مسرحيته حرية الإنسان ، ويعلق عليها أهمية عظمى . فالإنسان حر ،

على الأقل ، بالنسبة لما يحيط به من كائنات ، وليس ألعوبة فى يد أية قوة تأتيه من خارجه ، أى قوة منفصلة عنه ؛ الإنسان حر طليق مستقل الإرادة لايقيده قيد من الطبيعة أو مما فوق الطبيعة . ومن ثم كان المستقبل أمامه مفتوحا يستطيع أن يشكله كما يشاء . ولو كانت هناك قوة أخرى تقرر له من أمر مستقبله كل شىء ، وتعرف عن مستقبله كل شىء لأغلق أمامه هذا المستقبل ، وأصبح الوجود بالنسبة إليه كشبكة الصائد .

هذا هو الأساس الذى تقوم عليه الأخلاق السرترية فى جوهرها كما عرضتها مسرحية الذباب . : «إن الحرية البشرية لعنة فادحة للإنسان ، ولكن دون هذه اللعنة لاتكون للإنسان كرامة بشرية . »

ولكن الذباب تثير مشاكل خلقية أخرى يجدر بنا أن نناقشها : فأورست فى ظاهر مسرحية سارتر قد نزل على حكم مبدأ الثأر ، فقتل قاتل أبيه ومغتصب ملكه ، وأتبعه بقتل شريكة القاتل ، أمه الخائنة ، ثم غادر أرجوس واختفى إلى الأبد . فهل معنى هذا أن سارتر يجيز حق الثأر الذى لايعتبر على أحسن تقدير أكثر من إحدى عادات الحياة الإقطاعية؟ قد يجاب على هذا السؤال بأن «أورست» فى مسرحية سارتر – وعلى عكس ما فى الأسطورة – لم يرتكب ما ارتكب لمجرد الأخذ بالثأر من قاتل أبيه ، وإنما أراد بفعلته أن يخلص أهل أرجوس من طاغيتهم ، وأن يفسح بذلك السبيل أمامهم لاسترداد كرامتهم الإنسانية . يدل على ذلك رفضه فى بادىء الأمر أن يجارى أخته فى ارتكاب جريمة القتل ، أو على الأقل تردده فى ارتكابها ، قبل أن يصبح على تمام البينة من دور الضحيتين فى تزييف إنسانية أهل المدينة . ولكن هنا يثار سؤال آخر لايكاد يختلف فى نتائجه عن السؤال السابق ، وهو : هل يجيز سارتر الاغتيال السياسى وهو الذى يدفعه بكل قواه فى الأيدى القذرة ؟ يجاب عن هذا السؤال بأن الذباب مسرحية مقاومة ، وأن سارتر أراد بها أن يسند أعمال رجال

المقاومة ضد المغتصب النازى من قتل وتخريب ، فشبه دين التوبة لدى أهل أرجوس بسلوك حكومة فيشي الفرنسية فى إقرارها بأن على الفرنسيين أن يكفروا عن أخطاء آبائهم وساستهم ، كما اعتبر « إيجست » رمزا للألمان المغتصبين ، « وكليتمنيستر » رمزا للفرنسيين المتعاونين مع الألمان . وهكذا حين يتيح سارتر لأورست أن يقتل الملك المغتصب وأمه الخائنة ، ولو كان ذلك ضد قوانين مجتمع أرجوس ودين أهلها ، كأنه يبرر أعمال رجال المقاومة الذين لم يكونوا يقتلون الغزاة النازيين فحسب ، بل أيضا معاونيهم من الفرنسيين وأنصار حكومة « فيشي » . وهذا واضح بالرغم من أن الألمان لم يفطنوا إليه إلا بعد أن نبههم معاونوهم من الفرنسيين ، فصادروا المسرحية ، ولكن قد يقال بأن تفسير الذباب على هذا النحو لا يمكن أن يرضى أنصار المقاومة ؛ لأنه إذا كان أورست قد قتل الملك والملكة ، فماذا فعل بعد ذلك ؟ لقد غادر بعدها « أرجوس » ، ولم يبق فيها لكى يساهم فى إصلاح أحوالها ، فكأنه لم يرم من وراء فعله إلا تحقيق ذاته وإرضاء استقلاله الخلقى وتطبيق حريته الفردية ، وربما قصد إلى خلاصه الشخصى ، فيصبح فعله عملا فرديا خاصا ، وليس عملا سياسيا ذا طابع عام .

وقد توقف « الأستاذ فرنسيس » جانسون لدى هذه النقطة ، وأظهر حيرته أمام نهاية المسرحية التى لم تعجبه ، فسأل سارتر عنها وسجل إجابته فى كتابه « سارتر بقلمه » وهذه هى خلاصتها : « كنا جميعا نحارب الألمان لنتخلص فرنسا من المغيرين ، ولكن ذلك لم يكن ليعطينا الحق فى تشكيل سياسة فرنسا فيما بعد الحرب مع شدة اختلاف وجهات نظرنا » . ويعلق « الأستاذ » جانسون « على ذلك بقوله : « إذا كان سارتر قد أنزل الستار عقب هذا الموقف النبيل ، فليس ذلك لأنه يرى أن المقاومة مغامرة فردية فى المقام الأول ، مغامرة كل مقاوم على حدته ، أنها مجرد اختبار لحرية الفرد . ذلك لأن سارتر قد تكلم صراحة عن المسئولية الجماعية والدور التاريخى لكل فرنسى فى هذه الآونة .

ومما يوجه أيضا إلى الأخلاق السارترية فى الذباب من نقد، أنه إذا كان على كل فرد أن يخلق قوانينه الخلقية بنفسه ومن خلال فعله ، فإنه يتركنا بلا وسيلة نفاضل بها بين خلق وآخر. والواقع أن سارتر و «سيمون دي بوفوار» يبدوان كما لو كانا يستبعدان إمكان المقارنة بين أخلاقية عمل وآخر ، فقد وجد (روكنتان) فى الغثيان (خلاصه فى الفن ، ووجد أورست خلاصة فى قتل قاتل أبيه ، كما وجدت فرنسواز (فى قصة الضيفة لسيمون دى بوفوار) خلاصها فى قتل عدوتها « كزافيير ». ولكن «سيمون دى بوفوار» قد انكرت مثل هذه النهاية حين كتبت فى مذكراتها - بهذه المناسبة - أن الاغتيال لا يمكن أن يكون حلا لمشكلة الصلات الإنسانية المعقدة .

أما عن سارتر فإننا إذا نظرنا إلى الذباب نظرة أعمق وأدق ، وربطنا بين ما فيها وما جاء فى أعماله الأخرى ، وجدنا أنه يختلف فى هذه النقطة - كما يتبين حتى من أقدم أعماله - عن سيمون دى بوفوار قبل أن ترجع عن رأيها ، بل وجدنا أنه لا يستبعد المقارنة . ذلك أنه إذا كان يقرر أن كل شخص يخلق قيمه وأنه لا يوجد فى الطبيعة ولا خارج الطبيعة مثل أعلى يمكن أن تقاس به تلك القيم ويحكم عليها فى صلتها بعضها ببعض لدى مختلف الأفراد ، فليس معنى ذلك - بالضرورة - أن سارتر ينفى وجود معيار موضوعى لقياس السلوك ، لأنه يقدم لنا معيار « الاقتناع الصادق الأصيل » la sinerité مقياسا لذلك ، وعكسه سوء القصد أو خداع النفس mauvaise foi الذى يحكم على عمل صاحبه باللا أخلاقية . ومعنى ذلك أنه إذا كان الإنسان حرا مستقلا فى وضع مبادئه الخلقية ، خالقا لقيمه ، فإنه يحق لنا أن نسأل عن أمر واحد ، وهو ما إذا كان صادقا مع نفسه فى اتخاذ هذا الموقف أو ذاك ، مما يخلع قيمة على اختياره ، وإلا كانت قيمة غير حقيقية ولا أصيلة ، بل كأنها غير موجودة فى الواقع .

د . محمد القصاص

مسرحية
الذباب
أو الندم

تأليف: چان پول سارتر
ترجمة وتقديم: الدكتور محمد القصاص

شخصيات المسرحية

جوبيتر	Jupiter
أورست	Oreste
إيجست	Egisthe
المربي	Le Pédagogue
الحارس الأول	
الحارس الثاني	
القس الأكبر	
إيلكترا	Electre
كليتمنستر	Clytemnestre
إيرنيه	Une Erinnye
امرأة شابة	
امرأة عجوز	
رجال ونساء من الشعب	
إيرينيات . خدم	
حراس من القصر	

الفصل الأول

(ميدان فى أرجوس . تمثال لجوبيتر ، إله الذباب والموت ، له عينان بيضاوان ووجه ملطخ بالدماء .)

المشهد الأول

(نساء عجائز لابسات سود المسوح يدخلن فى موكب ويرقن الخمر أمام التمثال . معتوه جالس فى أقصى المسرح . يدخل أورست والمربى . ثم جوبيتر .)

أورست : طاب نهاركن أيتها النساء الصالحات !

(يدرن وجوههن صائحات).

المربى : هل لكن أن تخبرننا ؟ ...

(يبصقن على الأرض ، ويخطون خطوة إلى الوراء .)

المربى : أصغين إلينا : فنحن سائحان ضللنا الطريق ولا نبغى منكن إلا أن ترشدننا .

(العجائز يهربن صائحات ، ويتركن جرارهن تقع

على الأرض)

المربي : يا للسعالى الشمطاء ! كأنما أسعى إلى جمالهن ! آه يا مولاى ! ما أطيب الرحلة، وما كان أسعد إلهامك ساعة اعتزمت القدوم إلى هذا المكان . وإن فى بلاد اليونان وفى إيطاليا أكثر من خمسمائة عاصمة تفيض كلها بكريم النبيذ، وتمتلىء بأفسح الفنادق وأكثرها ترحيباً بالضيوف، وتغص شوارعها بالأهلين . أما هؤلاء الجبليون فيلوح لى أنهم لم يروا فى حياتهم سائحاً : لقد سألت عن الطريق مائة مرة فى هذه البلدة الملعونة التى تسفعها حمارّة القيظ ، فلم نقابل إلا هذا الصياح المذعور وهذا الهلع وتلك الجحافل السوداء فى شوارع يعشى شعاعها الناظرين . أوه ! هذه الشوارع الحدباء، وهذا الهواء المرتجف، وتلك الشمس المحرقة ... أفى الوجود ما هو أنحس من الشمس جداً ؟

أورست : هذا مسقط رأسى .

المربي : على ما يبدو . ولو كنت مكانك لما أخذتنى به العزة .

أورست : هذا مسقط رأسى ، وأرانى مضطراً إلى السؤال عن طريقى كأنى أحد الجوابين . اطرق هذا الباب !

المربي : وماذا تؤمل ؟ أتتوقع أن يجاب سؤلك ؟ أنظر إليها

قليلا ، أنظر إلى هذه الدور ، وحدثني عما ترى من سيماها . أين نوافذها ؟ كلها ، على ما أتوهم ، تطل على أفنية مغلقة حالكة الظلام ،وتدير ظهورها إلى الشارع . (إشارة من أورست) حسن يا مولاى سأطرقه ... ولكن دون أمل ...

(يطرق . سكوت . يطرق من جديد . يفتح الباب قليلا .)

صوت : ماذا تريد ؟

المربى : أريد إرشاداً لا ، أكثر . أتعرف أين يقيم ..

(يغلق الباب فى وجهه دفعة واحدة .)

المربى : هيا إلى المقصلة ! أراض أنت يا مولاى أورست ؟ أتكفيك هذه التجربة ؟ إذا شئت ،فنى وسعى أن أطرق جميع الأبواب .

أورست : كلا . دعنا .

المربى : ولكن أظننى أرى وجه إنسان .

(يقترب من المعتوه) .

مولاى !

المعتوه : هه !

المربى : هل لسيادتك أن تتكرم بإرشادنا إلى دار إيجست ؟

المعتوه : هه !

المربى : إيجست ، ملك أرجوس .
المعتوه : هه ! هه !
(جوبيتر يمر فى أقصى المسرح .)
المربى : من سوء الطالع أن الشخص الوحيد الذى لم يلذ بالفرار ليس إلا معتوها .
(جوبيتر يعود إلى المرور .)
إن هذا لعجيب ! لقد تتبعنا هذا الشخص حتى هنا .
أورست : من ؟
المربى : ذو اللحية .
أورست : ألست حالماً ؟
المربى : لقد أبصرته ماراً بعينى رأسى .
أورست : لقد خدعك بصرك .
المربى : هذا محال . لم أر فى حياتى مثل هذه اللحية اللهم إلا مرة واحدة، وقد كانت لحية من برنز ، أعنى تلك التى تزين وجه جوبيتر ذى اللحية فى بالرم . التفت ها هو ذا يعبر من جديد . ترى ما عساه يريد بنا ؟
أورست : إنه مثلنا يجوب البلاد .
المربى : حقاً ! لقد قابلناه فى طريق « دلف » . ولم نبحر من أثينا حتى كان قد نشر على ظهر السفينة لحيته . ولم نخط خطوة واحدة فى نوبلى إلا كان فى أعقابنا . والآن

ها هو ذا. أتزعم أن ذلك محض مصادفة ؟ (يطرد الذباب بيده .) آه ! هذا أيضاً ! يلوح لى أن ذباب أرجوس أكرم من أناسها . انظر إلى هذه الكومة يا مولاى ، أنظر إليها . (يشير إلى عينى المعتوه) إثنتا عشرة ذبابة تغطى عينيه كما لو كانت قطعة من الحلوى ، وهو جالس فى مكانه يبتسم للآلهة، وكأنما راقه أن يرتضع الذباب عينيه، فيقطر من هذين الثقبين نوع من المصل الأبيض يشبه خاثر اللبن . (يطرد الذباب) كفى أيها الذباب ، كفى ! انظر ، ها هو قد حط على وجهك . (يطرده .) أجل ، لعل الوحشة قد زالت عنك : كنت تشكو الغربة فى بلادك ، فها هى ذى تلك الحشرات تحتفل بمقدمك وكأنها عرفتك بعد طول الغياب . (يطرده .) هيا ، سلاماً وهدنة ! ولا حاجة بنا إلى كل هذه الحفاوة . من أين أقبل؟ إنه أشد من الأبواق طنينا وأضخم من الزنابير حجماً .

جوبيتر : (وقد اقترب منهما) ، إنه من ذباب اللحم،لا أكثر من ذلك ، ولكنه على شىء من البدانة . أقبل على هذه المدينة منذ خمس عشرة سنة مهتدياً برائحة قوية من الجيفة . ومنذ ذلك الحين وهو ينمو ويسمن . ولن تمر خمس عشرة سنة أخرى حتى يصير فى حجم

الضفادع الصغيرة .

(سكوت)

المربي : بين يدى من لنا شرف المثول ؟

جوبيتر : اسمي ديمتريوس . وقد أقبلت من أثينا .

أورست : أعتقد أنى رأيتك على ظهر السفينة منذ أسبوعين .

جوبيتر : وأنا أيضاً قد رأيتك . .

(صياح كريه فى القصر).

المربي : هو هو ! هو هو ! لا شيء من ذلك يوحى بالأمان ، وأظن يا مولاى أننا نحسن صنعا لو غادرنا هذا البلد .

أورست : دع هذا الكلام .

جوبيتر : لا عليكم من هذا . فاليوم عيد الموتى . وهذا الصياح إشارة تؤذن بافتتاح الحفل .

أورست : يبدو أنك على خبرة عميقة بأمور أرجوس .

جوبيتر : إنى كثير التردد عليها ، واعلم أنى كنت هنا يوم عاد الملك أجا ممنون، عندما رسا أسطول اليونان الظافر على ميناء نوبلى . وكان فى استطاعة كل إنسان أن يلمح الأشرعة البيضاء من فوق الأسوار . (يطرد الذباب .) لم يكن الذباب قد أقبل بجحافله بعد ، وكانت أرجوس مدينة صغيرة من مدن الأقاليم ، تتثاءب سأماً تحت أشعة الشمس . وفى الأيام التالية صعدت طريق

العسس مع غيرى ، فتيسر لنا أن نطيل تأمل الموكب الملكى الذى كان يشق طريقه فى السهل . وفى مساء اليوم الثانى ظهرت على الأسوار الملكة كليتمنستر يصحبها إيجست الملك الحالى . فرأى أهل أرجوس وجهيهما وقدصبغتهما شمس الغروب بالحمرة.رأوهما يطلان من فوق الأعراف ويصوبان نظريهما وجهة البحر ، فراحوا يقولون فى أنفسهم : «إن حادثا خبيثا قددنا .» ولكنهم لم يفوهوا بشىء . إيجست كما لعلكم تعلمون ، خدين الملكة كليتمنستر . وهو فى ذلك الحين رجل داعر تتجاذبه النزعات الدنيئة والسوداوية القاتلة . يبدو لى أنك متعب .

أورست : إنما هو ذلك المسير الطويل ، وتلك الحرارة الملعونة . ولكن حديثك يمتعنى .

جوبيتر : كان الملك أجا ممنون رجلا طيبا ،ولكنه ارتكب خطأ فاحشا . ذلك أنه لم يبح تنفيذ أحكام الإعدام فى الميادين العامة . وتلك خسارة كبرى ، لأن رؤية المقصلة تؤدى عملها ، ولو مرة واحدة ، يرفه عن أهل الأقاليم ويرهب الناس قليلا من الموت . سكت الناس ولم يقولوا شيئاً ، لأنهم لما سئموا الحياة الإقليمية الراتبة أرادوا أن يسروا عن أنفسهم بمنظر موت

عنيف . لم يقولوا شيئاً عندما طلع الملك أجا ممنون على أبواب المدينة ، ولم يقولوا شيئا لما رأوا الملكة كليتمنستر تمد إليه ذراعها المعطر . وكانت كلمة واحدة فى ذلك الحين تكفى . ولكنهم سكتوا جميعاً، وراح كل منهم يصنع فى خياله منظر جثة مشوهة الوجه .

أورست : وأنت أيضاً ، ألم تقل شيئاً ؟

جوبيتر : أيغضبك هذا أيها الشاب ؟ على كل حال إن ذلك يسرنى منك ، لأنه يبين عن نبل عواطفك . كلا لم أقل شيئاً : إذ لست من أهل هذا البلد ، وكل هذه المسائل لا تعنينى . أما أهل أرجوس فلم يقولوا شيئا أيضاً لما أصبح الصباح وسمعوا الملك يعوى فى القصر من وقع الألم ، بل أغمضوا أجفانهم على أعين تستمرىء اللذة ، وصارت المدينة جمعاء كامرأة تعاقرها الشهوة .

أورست : وها هو ذا القاتل يحكم وقد تمتع بخمسة عشر عاماً من السعادة . لشد ما كنت أومن بعدل الآلهة !

جوبيتر : رويدك ، لا تعجل بإدانة الآلهة . أترى ألا مندوحة من العقاب قط ؟ ألم يكن من الخير أن يدار وجه هذه الجريمة بحيث تخدم النظام الأخلاقى ؟

أورست : أهذا ما فعلوا ؟

جوبيتر : لقد أرسلوا الذباب .

أورست : وما للذباب وهذا ؟

جوبيتر : هذا رمز فحسب . أما فعلهم فاحكم عليه بما سأعرضه عليك . أترى تلك الخنفساء العجوز التى تدب هنالك بمخالبها الصغيرة السوداء ، وتسير دائماً فى كنف الجدار ؟ إنها مثال جميل لهذا الحيوان الأسود المنهوك الذى تعج به الشقوق . سأثب على هذه الحشرة وأقبض عليها بكلتا يدى وأقودها بين يديك . (يثب على العجوز فيقودها إلى مقدمة المسرح .(هذا محصول صيدى . استحلفتك إلا نظرت إلى هذه الشناعة ! هوه ! ما بالك تغمضين عينيك ، وقد تعودتم ، أنتم أيها القوم،هذه الفيافى المحمرة من قيظ الشمس ! انظر إلى هذا الاضطراب ، اضطراب السمكة فى طرف الخيط ! أخبرينى أيتها الشمطاء ، كم من عشرات الولد قد فقدت ؟ لو أجبتنى لربما أخليت سبيلك . على من تلبسين الحداد ؟

العجوز : هذا لباس أهل أرجوس .

جوبيتر : لباس أهل أرجوس ؟ هذا ما أعرف . إنما تلبسين الحداد على مليكك ، مليكك الذى قتل .

العجوز : أعفنى من هذا الكلام . إنى أستحلفك أن تعفينى من هذا الكلام .

جوبيتر : لأن سنك تنبىء بأنك قد سمعت هذا الصياح الهائل الذى ظل يدوى فى أنحاء المدينة صبيحة كاملة . فماذا فعلت ؟

العجوز : كان رجلى فى الحقل ، فما كان عساى أن أفعل ! أرتجت الباب .

جوبيتر : أجل ، وفتحت النافذة قليلا لتحسنى الإنصات ، وبقيت مترقبة خلف الستار معلقة الأنفاس ، تحسين دغدغة غريبة فى غور الكليتين .

العجوز : أتوسل إليك أن تترك هذا الحديث .

جوبيتر : ولابد أنك فى هذه الليلة قد ذقت لذة الحب مع رجلك حتى مطلع الفجر . وبعد ، ألم تكن ليلة عيد ؟

العجوز : آه يا سيدى لقد كان ... عيداً كريها .

جوبيتر : عيد أحمر ، لم تستطيعوا لذكراه وأدا .

العجوز : سيدى ، أأنت أحد الموتى ؟

جوبيتر : أحد الموتى ! هيا هيا ، أيتها المجنونة . لا تشغلى نفسك بمعرفة من أكون ، بل يحسن بك أن تشتغلى بنفسك ، فتستدرى بالندم غفران السماء .

العجوز : إنى أباشر التوبة يا سيدى ، أباشرها إلى حدها

الأقصى ، وابنتى كذلك لا تنفك عن الندم ؛ وزوجها يضحى ببقرة كل عام . أما حفيدى ، وقد أقبل على السابعة من عمره ، فقد ربيناه على الندم ، وهو غلام عاقل وديع كأنه تمثال ، أشقر موغل فى الشقرة ، وقد امتزجت نفسه بالإحساس بالخطيئة الأولى .

جوبيتر : هذا حسن . اذهبى إذن لحالك، أيتها العجوز القذرة، واسعى جهدك فى أن تهلكى فى الندم . إذ لا خلاص لك دونه . (العجوز تفر .) أيها السيد ، إن لم أكن مخدوعاً فها أنذا أرانى أمام نوع طيب من التقوى على الطراز القديم ، يقوم على الإرهاب .

أورست : أى رجل أنت ؟

جوبيتر : لا تشغل نفسك بأمرى . كنا نتكلم عن الآلهة . أكان من الواجب فى حكمك أن يصعق إيجست ؟

أورست : كان يجب ... آه ! لا أدرى ما الذى كان يجب أن يكون . ولكنى لا أبالى بذلك ، فلست من أهل هذا المكان . هل تاب إيجست ؟

جوبيتر : إيجست ؟ هذا يدهشنى . ولكن هذا الأمر لا وزن له ، فإن مدينة بأسرها تكفر من أجله . وإنما تحسب التوبة بالكم . (صياح كريه فى القصر .) أنصت ! هذا بقار قد اختاروه لضخامة صوته ليعول هذا

العويل فى ذلك الموعد من كل عام داخل قاعة القصر الكبرى، لكيلا ينسوا صياح مليكهم ساعة احتضر. (أورست يقوم بإشارة فيها اشمئزاز .) هذا شيء تافه . ماذا تقول إذن عندما يطلق الموتى بعد قليل ؛ لقد انقضى على اغتيال أجا ممنون خمسة عشر عاماً يوماً بيوم . فلشد ما تغير بعده شعب أرجوس،وما أقربه من قلبى !

أورست : من قلبك ؟

جوبيتر : دع هذا ، دع هذا أيها الشاب ؛ وإنما تكلمت لنفسى ، وكان يجب أن أقول من قلب الآلهة .

أورست : أهذا هو العدل ؟ حوائط ملطخة بالدماء ، وملايين من الذباب ، وقيظ لافح ، وشوارع مهجورة قاحلة ، وإله له سحنة قتيل ؛ وحشرات فى عقر دورها تقرع صدورها من سطوة الإرهاب . وهذا الصياح ، هذا الصياح الذى لا يطاق . أذلك ما يرضى جوبيتر ؟

جوبيتر : لا تحكم على الآلهة أيها الشاب ، فإن لديهم سراً أليما . (سكوت)

أورست : كان لأجا ممنون ابنة تدعى إليكترا ، على ما أظن ؟

جوبيتر : نعم ، وهى تقيم هنا فى قصر إيجست الذي ترى

أورست : أه ، أهذا قصر إيجست ؟ وما رأى إيلكترا فى كل ذلك ؟

جوبيتر : إن هى إلا طفلة . وكان له ولد أيضاً يسمى أورست ، يقال إنه قد مات .

أورست : مات ! أعوذ بالله ...

المربى : أجل يا مولاى ، أنت تعلم ذلك حق العلم . فقد قص علينا أهل نوبلى أن إيجست أصدر أمره بقتله بعد موت أجا ممنون .

جوبيتر : ويزعم بعضهم أنه لا يزال حيا ، ويروون أن قاتليه أخذتهم به الرأفة فطرحوه فى الغابة . والتقطه قوم من أعيان الأثينيين وتولوا تربيته . أما أنا فأتمنى أن يكون قد مات .

أورست : لماذا ، من فضلك ؟

جوبيتر : تصور أنه مثل يوماً من الأيام أمام أبواب هذه المدينة ...

أورست : وبعد ؟

جوبيتر : لو صادفته يومئذ لقلت له ... لقلت له : «أيها الشاب ...» أدعوه شابا لأنه فى سنك أو ما يقرب منها ، إن كان حيا . سيدى ، ألا تريد أن تخبرنى باسمك ، والشىء بالشىء يذكر ؟

أورست : اسمي فيليب ، من أهل كورنثة ، وأجوب البلاد فى طلب العلم مع عبد كان لى مربياً .

جوبيتر : حسن جداً ، إذن لقلت له : «أيها الشاب ، اذهب من حيث جئت ! ماذا أتيت تفعل هنا ؟ أتريد إحقاق حقوقك ؟ حسن جداً ! أنت قوى البنيان ، تشتعل حماساً ، وتصلح أن تكون ضابطاً شجاعاً فى جيش محارب . فخير لك أن تفعل ذلك من أن تكون ملكاً على مدينة نصفها ميت ، على جيفة لمدينة يقلق الذباب ساكنها . أهلها من كبار الآثمين ، ولكنهم قد استقاموا فى سبيل التوبة . فدعهم أيها الشاب ، دعهم واحترم ما أخذوا به أنفسهم من وعر الطريق . ارحل على أطراف أصابعك . فإنك غير مستطيع أن تشاطرهم توبتهم ، لأنك لم تشاركهم فى إثمهم . وإن طهارة روحك السافرة لتحفر بينك وبينهم هوة بعيداً غورها . فاذهب لحال سبيلك إن كنت تكن لهم شيئا من الحب . اذهب لحالك ، وإلا كنت صاحب حتفهم . فإنك إن أوقفتهم فى طريقهم ، إن ألهيتهم عن وخز ضمائرهم ، ولو لحظة واحدة ، عملت على جمود خطاياهم فى نفوسهم كما يجمد الدهن صادفته البرودة . وإن لهم لضميراً خبيثاً وإن فيهم

لخوفاً . والخوف وخبث الضمير يبعثان بنكهة تستريح لها خياشيم الآلهة . أجل إن هذه النفوس المستدرة للرحمة تروق الآلهة . أفتريد أن تنزع عنهم نعمة الآلهة ؟ بماذا تعيضهم عنها ؟ بيسر الهضم والسلام ، ذلك السلام الريفى المضجر المملول ، والسأم المميت ، أجل ، سأم السعادة الدائمة . على الطائر الميمون ، أيها الشاب ، سفر سعيد . فإن نظام المدينة ، كنظام النفوس ليس له قرار ، لا تستطيع لمسه دون إحداث كارثة . (يحدق فى عينيه .) كارثة هائلة تهوى عليك .

أورست : أحق هذا ؟ أذلك ما تقول له ؟ حسن . أما إذا كنت أنا ذلك الشاب لأجبتك .. (يختبر كل منهما الآخر بنظرات ثاقبة . المربى يسعل) ماذا ! لا أدرى بماذا كنت أجيبك ، لعلك على حق . هذا إلى أن الأمر لا يعنينى .

جوبيتر : لحسن الحظ . أتمنى أن يكون لأورست مبلغ حكمتك، والآن السلام عليكم . يجب أن أذهب لأمورى .

أورست : وعليكم السلام .

جوبيتر : على فكرة : إذا كان هذا الذباب يضايقك ، فهذه وسيلة لتخليصك منه ؛ انظر إلى هذا القطيع الذى

يطن من حولك : ها أنذا أقوم بحركة من معصمى وإشارة من ذراعى وأتلو : «أبركساس ، جلا جلا، تسيه ، تسيه .» ثم انظر ، ها هوذا قد تساقط، وراح يزحف على الأرض كالدود .

أورست : بحق جوبيتر !

جوبيتر : ليس هذا بذى بال . إنما هو نوع ضئيل من الحذق لتسلية الجماعة . فإنى من رقاة الذباب فى بعض ساعاتى . سعيد نهارك . وسأراك من جديد .

(يخرج .)

المشهد الثانى

(أورست — المربى .)

المربى : خذ حذرك ، فإن هذا الرجل يعرف من أنت .

أورست : أهذا رجل ؟

المربى : آه ! ما أقسى ما تؤلمنى يا مولاى ! ماذا فعلت إذا بدروسى وبهذا الريب الباسم الذى لقنتك إياه ؟ «أهذا رجل ؟ » ماذا تريد أن يكون ؟ ليس فى العالم إلا أناس ، وفى هذا ما فيه الكفاية . ذو اللحية هذا ليس إلا جاسوساً من جواسيس إيجست .

أورست : أعفنى من فلسفتك ، فلقد بالغت فى إيذائى .

المربى : إيذاؤك ! أمن الإيذاء أن يلقن المرء حرية الفكر ؟ آه لشد ماتغيرت ! إذ كنت فيما مضى أقرأ فى وجهك ... وأخيراً ألا ترى أن تخبرنى فيم تفكر ؟ لماذا أتيت بنا ها هنا ؟ وماذا تريد أن تفعل فى هذا المكان ؟

أورست : أقلت لك إنى جئت هنا ابتغاء شىء أفعله ؟ هيا تجمل

بالصمت (يقترب من القصر .) هذا هو قصرى . فيه ولد أبى . وفيه قتلته عاهر مع ديوثها . وفيه ولدت أنا أيضاً . كنت قد ناهزت الثالثة من عمرى ، لما حملنى جلادو إيجست . لاريب أننا عبرنا هذا الباب ، وقد حملنى أحدهم بين ذراعيه . ولعلى كنت مجهشاً بالبكاء ... آه ، لم يبق لى نفسى من كل ذلك أيسر ذكرى . ها أنذا أرى مبنى ضخماً صامتاً مجللا بهيبته الريفية . إنى أراه لأول مرة

المربى : أتزعم أيها المولى الجاحد أن نفسك خلو من الذكريات بعد أن أنفقت عشر سنين من حياتى فى حشد رأسك بها ؟ وكل هذه الرحلات التى قمنا بها ، وتلك المدن التى زرناها ؟ ودروس الآثار التى ألقيتها عليك وحدك ؟ لم يبق لك أى ذكريات ؟ لقد وجد فى غابر الزمان من القصور والمحاريب والمعابد ما هو جدير بإفعام ذاكرتك وما كان يمكنك ، لو وعيته ، من تأليف دليل لبلاد اليونان كالذى ألفه «بورانياس» الجغرافى .

أورست : من القصور ! هذا صحيح . قصور وعمد وتماثيل . ولكن لماذا لم يثقل وزنى إذن بعد أن حشدت كل هذه الأحجار فى رأسى ؟ وسلم معبد إيفيس ذو

الأربعمائة والعشرين والسبع درجات ، ألا تكلمنى عنه ؟ فلقد صعدتها واحدة واحدة ، وأذكرها جميعاً وأذكر أن السابعة عشرة منها مكسورة . إن كلباً ، إن كلباً عجوزاً ينبطح قريباً من النار طلباً للدفء ، ثم ينهض قليلا إذا وصل سيده ليحييه بأنة خافتة ، إن كلبا كهذا لأقوى منى ذكراً ، لأنه يعرف سيده . أما أنا فماذا أملك ؟

المربى : وماذا فعلت بالثقافة ، ياحضرة السيد ؟ إنها ملكك ، إنها ثقافتك ، جمعتها لك بحب وولع كما تجمع الباقة ، ونوعت أزهارها بحكمتى وكنوز تجاربى . ألم أروضك منذ الحداثة على قراءة جميع الكتب لتألف نفسك اختلاف الآراء الإنسانية ، وعلى جوب مئات الدول دون أن أنسى توجيه نظرك ، فى كل فرصة تسنح ، إلى أن عادات البشر وتقاليدهم قابلة للتغاير والتخالف ؟ واليوم ها أنت شاب ذو يسار وجمال ، محنك كالشيب ، حر من كل عبودية وكل اعتقاد ، لا أهل ولا وطن ولا دين ولا مهنة ، حر فى أن تلتزم ما شئت ، عليم بأنه لا ينبغى للإنسان أن يلتزم بشىء قط ، وأخيراً ها أنت ذا رجلا رفيعاً جديراً بتدريس الفلسفة أو الآثار فى إحدى المدن الجامعية الكبيرة ،

أبعد ذلك يحق لك أن تشكو ؟

أورست : كلا أنا لا أشكو ، بل لا أستطيع أن أشكو : فلقد حبوتني حرية مثل حرية هذه الخيوط التي تتخطفها الريح من بيوت العناكب، فتطفو على بعد خمسة أشبار من الأرض ؛ أنا لست أثقل من هذا الخيط وزناً ، وأنا أعيش مثله في الهواء . وأعلم أن ذلك من سعادة الطالع ، ولطالما قدرته حق قدره . (هنيهة .) من الناس قوم يولدون ملتزمين : هؤلاء الناس لا اختيار لهم . وإنما قذف بهم في طريق ما ؛ وفي نهاية هذا الطريق عمل ينتظرهم ، هو عملهم ، فيسيرون وأقدامهم العارية تقرع الأرض فيحفيها حصاها . أفتعتبر أنت من سوقى الأمور متعة الوصول إلى مكان ما ؟ وهناك آخرون ، قوم صامتون يحسون في أعماق قلوبهم بحمل الصور الأرضية المضطربة ؛ تبدلت حياتهم لأنهم في يوم من أيام طفولتهم ، في سن الخامسة أو السادسة ... حسن جداً . هؤلاء الناس ليسوا من عظماء الرجال . وقد علمت ، ولم أبلغ السابعة من عمري ، بأني منفي ؛ فكنت أدع الروائح والأصوات وضوضاء المطر المنهمر فوق السقوف وتماوج الأنوار ، كنت أدعها تنزلق محاذية لجسمي حتى تتبعثر من حولي ،

لأنى أعلم أنها من متاع غيرى، وليس لى أن أعدها من ذكرياتى . لأن الذكريات طعام دسم لمن لهم بيوت وبهائم وخدم وحقول . أما أنا فإنى حر والحمد لله . آه ما أوسع حريتى ! ويا لهذا الغياب العزيز الذى هو روحى . (يقترب من القصر .) كنت سأعيش فى هذا القصر، وما كنت لأجد فيه واحداً من كتبك ؛ بل ربما لم أعرف القراءة قط : فمن النادر أن يتعلم القراءة أمير . ولكن كان يصح لى أن أدخل من هذا الباب وأن أخرج منه آلاف المرات ؛ وأن ألعب طفلا بمصراعيه ، فأعترض بينهما بكل قواى وهما يصلان دون أن ينقادا . ويشب ساعدى على مقاومتهما . وكنت أدفعهما تحت ستار الليل لأنطلق إلى مواعيد الفتيات . وأرى العبيد ، يوم أبلغ رشدى ، يفتحونهما أمامى لأعبر ممتطياً صهوة جوادي . كنت أجد رتاجك وأنا مغمض العينين يا بابى الخشبى العتيق . ولعلى كنت أنا الذى أحدث فيك هذا الخدش، خرقاً منى، يوم أعالج القوس لأول مرة . (يتنحى قليلا .) إنه من الطراز الدورى الصغير ؛ أليس كذلك ؟ وما رأيك فى هذه المرصعات الذهبية ؟ لقد شاهدت مثلها فى دورون . إنها من جميل الصناعة . هيا ، ما على إلا

إرضاؤك . فليس القصر قصرى ولا الباب بابى .
ولا شيء يمسكنا فى هذا البلد .

المربى : لقد رجعت إلى سبيل الرشاد . ماذا كنت تفيد لو
عشت فيه ؟ كان عليك فى هذه الساعة أن تخضع
نفسك لإرهاب الندم الكريه .

أورست : لو كان لى ... لو كان لى هذا القيظ الذى يشوى
رأسى . لو كان لى طنين هذا الذباب . لو كنت فى
هذه الساعة عارى الجسم فى قاعة مظلمة من قاعات
القصر ، لراقبت الضوء الأحمر من ثقوب أحد الأبواب
ولانتظرت حتى تنصرف الشمس ويتصاعد من
الأرض ، كالنشوة ، ظل ندى لمساء من أمسية
أرجوس يشبه آلاف الظلال من قبله ولكنه أبدا
جديد ، ظل مساء من أمسيتى أنا ، هيا ولنرحل أيها
المربى . ألا ترى أن أجسامنا توشك أن تجف من
قيظ ليس لنا ؟

المربى : آه ، لقد اطمأن الآن قلبى يا مولاى . فمنذ هذه
الشهور الأخيرة ، أو على الأصح منذ أن أخبرتك
بأصلك ، وأنت تتحول يوماً بعد يوم ، مما أطار
النوم عن عينى ، وقد خشيت ...

أورست : ماذا ؟

المربى : إن ذلك قد يغضبك .

أورست : كلا . تكلم .

المربى : خشيت ... مهما ريض الإنسان منذ نعومة أظفاره على تهكم المرتاب ، فقد تساوره أحيانا حمق الأفكار . بالاختصار كنت أسائل نفسى عما إذا كنت تفكر فى طرد إيجست والاستيلاء على مكانه .

أورست : (ببطء) ، طرد إيجست ؟ (هنيهة .) قر عينا أيها الرجل الطيب ، فقد فات الأوان . ليست تنقصنى الرغبة اللاعجة فى أخذ هذا الداعر من لحيته وانتزاعه من عرش أبى . ولكن ماذا ؟ ما لهؤلاء القوم ومالى ؟ ولم أشهد ميلاد طفل من أطفالهم ، ولم أشارك فى زفاف بناتهم ، ولست أشاطرهم ندمهم ، ولا أعرف اسما لواحد منهم . إن الحق ما قال ذو اللحية : على الملك أن يساهم مع رعاياه فى عين الذكريات . فلنخل سبيلهم ، أيها الرجل الطيب ، ولننطلق إلى سبيلنا . على أطراف الأصابع . آه لو كان من عمل ، أصغ إلى ، لو كان من عمل يخلع على حق المواطن بينهم ؛ لو كان فى وسعى ، ولو بارتكاب جريمة ؛ أن أسلبهم ذاكرتهم وخوفهم وآمالهم لأملأ بها فراغ قلبى . حتى ولو كان ذلك بقتل أمى ...

المربى : مولاى !

أورست : أجل . ولكنها أضغاث أحلام . فلننطلق . انظر إذا كنت تستطيع الحصول على جوادين لنتابع السير حتى إسبرطه ، فإن لى فيها أصدقاء .

(تدخل ايلكترا .)

المشهد الثالث

(نفس الأشخاص — إيلكترا)

ايلكترا : (تحمل على رأسها صندوقاً وتقترب من تمثال جوبيتر دون أن تراهما)

: أيها المسخ القذر ، لك أن تحدجني بعينيك المستديرتين في وجهك الملطخ بعصير التوت ، ولكني لن أخشاك . قل ، لقد تمتع بزيارتك هذا الصباح نساء قديسات ، خذاريف بالية في ثيابهن السوداء ، يقرقعن من حولك بنعالهن الغليظة ؛ فقرت بهن عينك . أليس كذلك ؟ أيها الزوال المزعج ، إنك تحب هذه الشمطاوات ؛ وكلما اقتربن من الموتى شبها زدت لهن حباً . بين قدميك أرقن أعز نبيذ لديهن ، لأنه يوم عيدك ، ورائحة العفونة المنتنة تتصاعد من ثيابهن إلى أنفك . وما زالت خياشيمك نشوى بهذا العطر الشهي (تحتك به .) أجل ، انشق الآن رائحتي ، انشق رائحة البشرة الغضة . إني في ميعة الشباب ، إني في عنفوان الحياة ، وذلك

ماتشمئز منه نفسك . جئت أيضاً لأقدم لك قرباني ، والمدينة بأسرها غارقة في صلواتها . فخذ هذه الفضلات ، وكل ما في الكانون من رماد ، وهذه البقايا العفنة من اللحم الذي يسرح فيه الدود . وهذه القطعة المتعفنة من الخبز التي عافت أكلها الخنازير . لأن ذبابك يشتهي كل هذا . عيد هنيء ، عيد هنيء ، وأتمنى أن يكون الأخير . لو طاوعتني قوتي لقذفت بك على الأرض . ولكن ليس في طوقي إلا أن أبصق عليك . ولكن الذي أترقب حضوره قادم لا محالة متقلداً سيفه الكبير . فيراك في وضعك هذا ، اليدان على الفخذين والجسم مائل إلى الخلف ، فيلقي عليك نظرة ساخرة ، ثم يرفع سيفه ويشقك من أعلاك إلى أسفلك ، فينهار شطرا جوبيتر ، شطر إلى اليسار وشطر إلى اليمين ، وعندئذ يعرف العالم أجمع أنه من خشب أبيض . أجل ، إنه من خشب أبيض ، إله الموتى هذا . الدم والهول يخضبان وجهه ، أما خضرة عينيه القاتمة فليست إلا طلاء . أليس صحيحاً ما أقول ؟ أنت تعرف أن باطنك من خشب أبيض كبياض الرضيع ، وأن ضربة واحدة من سيف كفيلة بشطرك شطرين دون أن تنزف منك قطرة من دم .

من خشب أبيض ؛ من جيد الخشب الأبيض ؛
مما يطيب للنار التهامه (تلمح أورست .) أه !

أورست : لا تخافى .

إيلكترا : لست خائفة . ما بى ذرة واحدة من خوف . من أنت ؟

أورست : غريب .

إيلكترا : على الرحب والسعة ... كل ما هو غريب عن هذه المدينة عزيز على نفسى . ما اسمك ؟

أورست : اسمى فيليب . من أهل كورنثة .

إيلكترا : أه ! من كورنثة ؟ أما أنا فأدعى إيلكترا .

أورست : إيلكترا ! (للمربى) دعنا .

(المربى يخرج) .

المشهد الرابع

(أورست – إيلكترا) .

إيلكترا : مالك تنظر إلىّ هذه النظرة ؟
أورست : أنت جميلة . إنك لا تشبهين أهل هذه المدينة فى شيء .
إيلكترا : جميلة ؟ أواثق أنت من أنى جميلة ؟ فى جمال بنات كورنثه ؟
أورست : نعم .
إيلكترا : ذلك مالايبثه إلى أحد فى هذا البلد . لأنهم يحرصون على ألا أعرفه . هذا إلى أنى لاأعبأ به . فما أنا إلا خادمة .
أورست : خادمة ؟ أنت ؟
إيلكترا : بل آخر الخادمات . أغسل ثياب الملك والملكة الداخلية ، وهى ثياب دنسة تنضح بالقذارة. أجل ، أغسل كل ثيابهما الداخلية الأقمصة التى تغطى جسميهما المتنتين ، حتى القميص الذى تلبسه كليتمنستر عند ما تشاطر الملك فراشه : يجب أن أغسل كل هذا. فأغمض عينى وأحكها

بكل قوتى . كذلك على تنظيف الآنية . ألا تصدقنى ؟
انظر إلى راحتى تخددهما الشقوق ويغطيهما القشف .
ما أغرب ما تتكلم به عيناك ! أترى فيهما راحتى
أميرة ؟

أورست : كلا : بل راحتى مسكينة . لاشىء فى سيماهما مما يشبه الإمارة . ولكن تابعى قصتك . ماذا يفعلون بك غير هذا ؟

إيلكترا : علىّ كل صباح أن أفرغ صندوق القمامة . وقد رأيت ماذا فعلت بها . هذا المخلوق الخشبى هو جوبيتر إله الموتى والذباب . وأذكر يوم جاء القس الأكبر . ليؤدى ماتعود من علامات الذل والاستكانة ،فوطئت قدمه فضلات الكرنب واللفت وقشور القواقع ، فظن أن عقله قد طار ، أتحدثك نفسك أن تشى بى؟

أورست : كلا :

إيلكترا : لك أن تشى بى إن شئت . فإنى لا أبالى . ماذا عساهم يفعلون بى فوق مايفعلونه ؟ . أيضربوننى ؟ لقد ذقت الضرب مرارا . أيحبسوننى فى قلعة شاهقة ؟ ما أطيبها من فكرة لو تحققت . إذ أرانى مضطرة إلى النظر فى وجوههم . تصور أنى كلما انتهيت من عملى فى المساء أرادوا أن يكافئونى : فأدنو

من امرأة طويلة بدينة مصبوغة الشعر ؟ لها مشفران غليظان يغطيهما الشحم، ويدان ناصعتا البياض ، يدا ملكة تفوح منهما رائحة العسل . فتضع يديها على كتفي وتلصق مشفريها بجبهتي قائلة : « طاب مساؤك يا إيلكترا » . وهذا يتكرر في كل مساء . في كل مساء أحس بهذا اللحم الحار النهم يتموج فوق بشرتي . ولكني صامدة لم يصبني أي انهيار . هذه المرأة هي أمي . فلو وضعوني في قلعة لنجوت من قبلاتها .

أورست : ألم تفكري يوماً في الفرار ؟

إيلكترا : ليست لدي هذه الشجاعة . ويفزعني أن أراني وحيدة أطوي الطرق طيا .

أورست : ألا من صديقة لك تصحبك ؟

إيلكترا : كلا . مالي غير نفسي . أنا الجرب وأنا الطاعون ؟ كل من في المدينة يقول لك ذلك . لا مؤنس لي فيها ولا صديق .

أورست : أليس لك ظئر ، امرأة عجوز شهدت ميلادك ووهبتك بعض حبها ؟

إيلكترا : ولا ظئر . سل أمي : فإني أنفر من نفسي أعمر القلوب بالرحمة .

أورست : أستقضين هنا حياتك كلها ؟

إيلكترا : (صائحة) . أه ! كلا . إنى أنتظر شيئا .

أورست : شيئا أم شخصا ؟

إيلكترا : لن أبوح لك . الآن حان دورك ، فحدثنى . أنت أيضا جميل . أستبقى هنا زمنا طويلا ؟

أورست : كان فى نيتى أن أرحل فى يومنا هذا ... أما الآن ...

إيلكترا : والآن ؟

أورست : لا أدرى .

إيلكترا : كيف كورنثة ؟ أهى مدينة جميلة ؟

أورست : جميلة جداً .

إيلكترا : أتحبها ؟ أأنت فخور بها ؟

أورست : نعم .

إيلكترا : أما أنا فيدهشنى أن أكون فخورة ببلدى . فسر لى هذه الظاهرة .

أورست : لا أدرى . لا أستطيع لها تفسيراً .

إيلكترا : لا تستطيع ؟ (هنيهة) . أصحيح أن فى كورنثة مغانى وارفة الظلال ؟ مغانى تطيب فيها النزهة إذا أرخى الليل سدوله ؟

أورست : هذا صحيح .

إيلكترا : أيخرج الناس جميعا ؟ أكل الناس يتنزهون ؟

أورست : كل الناس .

إيلكترا : الفتيان والفتيات ؟
أورست : الفتيان والفتيات .
إيلكترا : ألديهم دائما ما يتجاذبون عنه الحديث ؟ وهل يحلو لهم أن يخرجوا جماعات ؟ وهل تسمع ضحكاتهم مصطحبين بعد أن يهجع الليل ؟
أورست : نعم .
إيلكترا : لعلك تتهمني بالبله . ذلك أني لا أتخيل التنزه والغناء والابتسام . فأهل هذه المدينة قد أبلاهم الخوف . وأنا ...
أورست : وأنت ؟
إيلكترا : وأنا قد أبلاني الحقد . كيف يشغل فتيات كورنثة نهارهن ؟
أورست : يشتغلن بزينتهن . ثم يغنين أو يوقعن على العود . بعد ذلك يتبادلن الزيارات . فإذا أقبل المساء ذهبن إلى حفلات الرقص .
إيلكترا : ألا يقلقهن همّ من الهموم ؟
أورست : هموم طفيفة .
إيلكترا : أه ! أصغ إليّ . ألا يستولى الندم على أهل كورنثة ؟
أورست : في بعض الأحايين . ولكن ذلك أمر نادر الوقوع .
إيلكترا : إذن فهم يفعلون ما يشاءون ، وبعد ذلك لا يفكرون

فيما فعلوا .

أورست : هو كذلك .

إيلكترا : إن هذا لعجيب (هنيهة) . سأسألك سؤالا أرجو أن تجيبنى عنه ، لأنى فى حاجة إلى جوابه بسبب شخص ... شخص أنتظر قدومه : افرض أن شابا من شبان كورنثة ، من هؤلاء الشبان الذين يمرحون مع البنات ، قد عاد من سفره فوجد أباه مقتولا وأمه فى فراش القاتل وأخته ترسف فى ذل العبودية ، أتراه ينسحب فى سكون ووقار ، هذا الشاب الكورنثى؟ أتراه يتراجع القهقرى بعد أن يقوم بفروض التحية والتبجيل ليبحث عن عزاء له لدى صديقاته ؟ أم تراه يستل سيفه وينهال على القاتل حتى يحطم رأسه ؟ ألا تريد أن تجيب ؟

أورست : لا أدرى .

إيلكترا : كيف ذلك ؟ كيف لا تدرى؟

صوت كليتمنستر : إيلكترا !

إيلكترا : هسّ .

أورست : ماذا جرى ؟

إيلكترا : تلك أمى ، الملكة كليتمنستر .

المشهد الخامس

(أورست – إيلكترا – كليتمنستر)

إيلكترا : نعم يا فيليب ؟ أنخشاها إذن ؟

أورست : لقد حاولت مئات ومئات من المرات أن أكوّن فى خيالى صورة لهذا الوجه ، حتى انتهيت إلى رؤيته رخوا مكدودا تحت ما يغطيه من زغل ؛ ولكنى لم أتوقع قط أن أرى هاتين العينين الميتتين .

كليتمنستر : الملك يأمر ، يا إيلكترا بأن تتهيئى للاحتفال . ضعى حلاك وثوبك الأسود . ما هذا الذى أرى ؟ ما معنى هاتين العينين المخفوضتين ؟ أراك وقد لصق ذراعاك بفخذيك العجفاوين ، وكأنك قد ضقت ذرعا بجسمك.. وتلك حالك فى غالب الأحيان إذا مثلت بين يدى . ولكنى لن أنخدع منذ اليوم بهذه الأوضاع الفردية . فقد كنت أطل من الشباك منذ لحظة ، فرأيتنى أمام إيلكترا أخرى ، طليقة الحركات وعيناها تشعان نارا.. هلا تنظرين إلى فى وجهى ؟ أخيراً هلا تجيبينى ؟

إيلكترا : أبكم حاجة إلى هذا الرجس ترفعون به من بهاء عيدكم ؟

كليتمنستر : دعى الهزل . فأنت أميرة يا إيلكترا ، والشعب ينتظرك كعادته فى كل عام .

إيلكترا : أفى الحق أنى أميرة ؟ إنلكم لا تذكرون ذلك إلا مرة واحدة فى كل عام ، عندما يتطلع الشعب إلى رؤية لوحة من حياتنا العائلية ليتخذها له أسوة . ما أجمل أميرة تغسل الآنية وتحرس الخنازير ! وإيجست أتراه ، كحاله فى العام الماضى ، سيحيط كتفى بذراعه ويبتسم فى وجهى وهو يسر بكلمات التهديد فى أذنى ؟

كليتمنستر : عليك أنت يتوقف إبدال هذه الحال .

إيلكترا : نعم لو استسلمت إلى سم ندمكم ؛ لو استجرت بغفران الآلهة عن جريمة لم أكن من جناتها . أجل . لو قبلت يدى إيجست ودعوته بأبى . كلا ، إن أظافره لا تزال تخفى الدم المتجمد من خلفها .

كليتمنستر : اعملى ما شئت ، فقد يئست منذ زمن بعيد من أن أصدر إليك أمراً . وهأنذى أنقل إليك أوامر الملك .

إيلكترا : ما شأن أوامر إيجست وشأنى ؟ إنه زوجك يا أمى ، زوجك العزيز . وليس بزوجى .

كليتمنستر : لا جواب لك عندى يا إيلكترا . أرى أنك تسعين إلى حتفك وحتفنا ، ولكن أنى لى بنصحك وقد

هدمت حياتي في صبيحة يوم واحد ؟ إنك تبغضينني يا بنيتي ، ولكن يزيدني قلقا أنك تشبهينني : فلقد كان لي هذا الوجه المدبب وهذا الدم الحائر وهاتان العينان المفعمتان بالرياء ، فلم يخرج من هذه الخلقة شيء تحمد عقباه .

إيلكترا : إني لا أريد أن أشبهك . قل أنت يافيليب ، أنت الذي ترانا معا أمام عينيك ، قل ، أليس من غير الصحيح أني أشبهها ؟

أورست : ماذا أقول ؟ محياها يشبه حقلا انقضت عليه الصواعق والبرد فخرباه . أما محياك فسيماه تنبيء بالعاصفة . ولابد أن تحرقه الأهواء يوما حتى العظام .

إيلكترا : سيماه تنبيء بالعاصفة ؟ ليكن . إني أرضى بهذه المشابهة ، بل أتمنى أن تصدق فراستك .

كليتمنستر : وأنت ؟ أنت الذي تكشف عذار الناس على هذا النحو ، من تكون ؟ دعني أتأمل وجهك بدوري . ماذا جئت تفعل عندنا ؟

إيلكترا : (بنشاط) : هذا شاب من أهل كورنثة ؛ اسمه فيليب ، ويجوب البلاد .

كليمنستر : فيليب ؟ آه !

إيلكترا : يبدو أنك كنت تخشين أن تسمعي اسما آخر .

كليتمنستر : أخشى ؟ إذا كنت قد أصبت من سقطتى مغنما ؛
فذلك أنى أصبحت لا أخشى شيئا . اقترب أيها الغريب
وكن على الرحب والسعة . يا لك من حدث .ما سنك ؟

أورست : ثمانى عشرة سنة .

كليتمنستر : ألا يزال أبواك على قيد الحياة ؟

أورست : لقد مات أبى.

كليتمنستر : وأمك ؟ لا ريب أنها فى مثل سنى . لماذا لا تجيب ؟
لعلها تبدو أكثر منى شبابا ، وأنه لا يزال فى مقدورها
أن تضحك وأن تغنى أمامك . أتحبها ؟ ولماذا فارقتها ؟
أجب .

أورست : أريد أن ألتحق بفرق الجنود المرتزقة فى اسبرطة .

كليتمنستر : جرت عادة المسافرين أن يسلكوا طريقا ملتوية
تكلفهم ثلاثين فرسخا فوق الطريق المعتادة حتى لا يمروا
بمدينتنا . ألم ينبئك بذلك أحد ؟ إن أهل السهل يحيدون
عنا ، لأنهم ينظرون إلينا فى ندمنا كما ينظرون إلى
الطاعون ويخشون العدوى.

أورست : عندى علم بذلك .

كليتمنستر : أأخبروك بأن جناية ارتكبت منذ خمسة عاما لا زلنا
نتقلب فى وزرها ؟

أورست : لقد أخبرونى .

كليتمنستر : وبأن كليتملنستر تحمل من هذا الوزر أعظمه ،وأن اسمها ملعون بين الجميع ؟

أورست : لقد أخبرونى.

كليتمنستر : ثم جئت بالرغم من ذلك ؟ أيها الغريب إننى أنا الملكة كليتمنستر.

إيلكترا : إياك والشفقة يا فيليب . إن الملكة تلهو بلعبتنا الوطنية : لعبة الاعتراف العلنى . فكل إنسان عندنا ينادى بخطاياه على رءوس الأشهاد . وليس من النادر أن ترى فى أيام الأعياد أحد التجار وقد أنزل باب حانوته الحديدى ثم راح يزحف على ركبتيه فى شوارع المدينة ويهيل التراب على رأسه ويصيح بأنه قاتل أوزان أو حانث. ولكن الملل بدأ يتسلل إلى أهل أرجوس،لأن كل فرد منهم أصبح يعرف جرائم الآخرين عن ظهر قلب، ولا سيما جرائم الملكة التى لا تمتع الآن إنسانا ، لأنها جرائم رسمية ، أو تاسيسية ، إن صح هذا التعبير. لذلك لا تسأل عن مبلغ سرورها ، وقد رأتك شابا حدثا جديداً جاهلا باسمها : فتلك فرصة لم تحلم بمثلها ، لأنها تقص عليك جرمها وكأنها تدلى به للمرة الأولى .

كليتمنستر : اسكتى ! كل إنسان من حقه أن يبصق فى وجهى ،وأن إ

يدعونى مجرمة أو عاهرة ، ولكن لا حق لإنسان فى أن ينصب من نفسه حكما على توبتى .

إيلكترا : تلك قاعدة اللعب يا فيليب . وسترى كل الناس يضرعون إليك فى أن تتهمهم . ولكن خذ حذرك ، يا فيليب ، لا تسلم ولا تحكم إلا على مايذكرون أمامك من خطاياهم . أما ما وراء ذلك فلا يعنى أمره إنسانا ، بل قد لا تسلم من حنقهم إذا سعيت إلى أن تكشف عنه الغطاء .

كليتمنستر : منذ خمس عشرة سنة كنت أجمل امرأة فى بلاد اليونان . أما الآن فانظر إلى وجهى واحكم بمقدار ما عانيت . أعنى ما تحت الزغل . وليس موت هذا التيس العجوز هو الذى يمضنى ، فما رأيته فى حوضه غارقا فى دمه حتى أخذنى الطرب ورحت أغنى وأرقص : والآن ، بعد خمسة عشر عاما ، لاأذكره دون أن أحس بقشعريرة من اللذة تسرى فى جسمى . ولكن كان لى ابن من سنك . فلما رأيت إيجست يسلمه إلى المرتزقة ، أحسست ...

إيلكترا : ويلوح لى أنه كان لك ابنة أيضاً يا أماه . فجعلت منها غسالة آنية ، ولكن تلك خطيئة لا يشق عليك أمرها .

كليتمنستر : أنت شابة يا إيلكترا . وما أيسر الاتهام على شباب لم يتوفر له من الوقت ما يكفى لفعل الشر . ولكن صبرا ، فليس ببعيد ذلك اليوم الذى ترتكبين فيه جرما لا يغتفر . وكلما خطوت خطوة ، ظننت أنك عنه تبعدين ، ولكنه وراء ظهرك أبدا تجرينه من خلفك لا يخف عنك وزن أنملة ؛ فإذا التفت وراءك ، بصرت به بعيداً عن متناول يدك قاتما صافيا كالبلور الأسود . فيتعذر عليك فهمه حتى تقولى فى نفسك : « لست أنا . لست أنا التى جنيته . » ولكنه ماثل قائم ، لك أن تنكريه وأن تمعنى فى إنكاره فهو موجود أبدا يتشبث بأذيالك ويجذبك إلى الوراء . وأخيراً تعرفين أنك رهنت حياتك بضربة ميسر واحدة كانت قضاء مبرما لا رجعة فيه ، وأنه لم يبق لك إلا أن تتجرعى جرمك غصصا حتى الممات . ذلك هو قانون التوبة ، عادلا أكان أم جائراً . وسترين يومئذ ما يحل بكبرياء شبابك .

إيلكترا : كبرياء شبابى ؟ هيا . إنما تندبين شبابك أكثر مما تبكين على جنايتك ، وتكرهين شبابى أكثر مما تبغضين طهارتى .

كليتمنستر : إنما أكره فيك نفسي ، يا إيلكترا ، وليس شبابك ، أوه كلا ، بل شبابي .

ايلكترا : أما أنا فأكرهك أنت ، أنت بذاتك .

كليتمنستر : يا للعار ! ها نحن نتبادل السباب كما لوكنا امرأتين قد وحدت بينهما السن وفرقت بينهما منافسة غرامية . ومع ذلك فإنى أمك . أما أنت أيها الشاب ، فلاأدرى من أنت، ولا ماذا جئت تفعل بيننا . ولكنك مشئوم الحضرة . إن إيلكترا تبغضنى ، وهذا أمر لا أجهله . ولكنه بغض صامت لم يفضحه شيء طوال هذه الخمسة عشر عاما ، اللهم إلا نظرات العين . وها نحن الآن ، بعد أن جئت وبادلتنا الحديث ، نبدى نواجذنا ونزمجر كالكلاب . إن قوانين المدينة تفرض علينا إكرام الضيف . لكن لا أخفى عليك أنى أتمنى رحيلك .وأما أنت يا بنيتى ، أما أنت ياصورتى الصادقة الوفية ، فإنى لا أحبك . هذا حق لا ريب فيه . ولكنى أفضل قطع يمناى على أن أمدها إليك بالأذى . أنت على يقين مما أقول وتسرفين فى استغلال ضعفى . ولكنى أنصحك ألا تشهرى سم رأسك أمام إيجست ؛ لأنه يعرف كيف يقصم ظهر الأفعى بضربة واحدة من

عصاه . تدبرى قولى ، وأنفذى أمره ، وإلا فعلى سلامتك العفاء .

إيلكترا : تستطعين أن تجيبى الملك بأنى لن أظهر فى احتفال العيد . أتدرى يا فيليب ما يفعلون ؟ هنالك فى أعلى المدينة مغارة عىّ شبابنا بالعثور على قرارها ، ويقال إنها تنتهى إلى الجحيم . وقد أمر القس الأكبر أن تلقى على فوهتها صخرة عاتية . والآن أتصدق ما سأقص عليك ؟ إذن فاعلم أن الشعب يجتمع أمام هذه المغارة مرة فى كل عام ، ثم ينحى الجنود الصخرة التى تسد فوهتها ؛ فيخرج الموتى من الجحيم ، على ما يقال ، وينتشرون فى أنحاء المدينة . فيوضع لهم الطعام على الموائد ، وتقدم لهم الكراسى والأسرة ، ويفسح لهم المكان ، فيطوفون فى كل فج . وفى هذا اليوم لا يشتغل الناس إلا بهم . ومن اليسير أن تتخيل عويل الأحياء من مثل : « يا ميتى العزيز ، يا فقيدى الحبيب ، لم أعمد إلى جرح خاطرك فاغفر لى . » فإذا ماصاح ديك الصباح ، بادروا بالرجوع إلى مستقرهم تحت الأرض ، وردت الصخرة على فم المغارة ، وانتهى الأمر حتى العام القادم . أنا لا أريد المشاركة فى مثل هذه المهازل . فهم موتاهم لا موتاى .

كليتمنستر : إن لم تطيعى راضية النفس ، فقد أمر الملك أن تحملى بالقوة .

إيلكترا : بالقوة ؟ ها ! ها ! بالقوة ؟ حسن جداً . أمى الرءوم ، إذا طاب لك فطمئنى الملك على طاعتى ، سأمثل فى الاحتفال بالعيد . ومادام الشعب يرجو أن يرانى فلن أخيب رجاءه . أما أنت يا فيليب فأرجوك تأجيل سفرك لتشهد عيدنا ؛ فلعله يهيىء لك فرصة طيبة للضحك . إلى اللقاء العاجل ، وسأذهب للتهيؤ .

كليتمنستر : (لأورست) ارحل : إنى واثقة من أنك ستكون علينا مشئوم الحضرة ، وأرجو ألا تحقد علينا ، فإننا لم نسىء إليك ، ارحل ، أستحلفك بأمك أن ترحل . ارحل .

أورست : بأمى ...

تخرج .

(يدخل جوبيتر) .

المشهد السادس

(جوبيتر ـ أورست)

جوبيتر : علمت من خادمك أنك تتأهب للرحيل . وها هو ذا يقطع المدينة طولا وعرضاً باحثا عن خيل . ولكن فى غير جدوى . غير أنى أستطيع أن أحصل لك على فرسين مسرجين بثمن معتدل .

أورست : لقد عدلت عن الرحيل .

جوبيتر : (ببطء) عدلت عن الرحيل ؟ (هنيهة . بحماس) . إذن لن أتركك ، فأنت ضيفى . فهناك فى أسفل المدينة فندق مناسب سننزل فيه معا . ولن تندم على اختيارى صاحبا . أولا ، لأن فى قدرتى أن أخلصك من الذباب ــ أبركساس ، جلا ، جلا ، تسيه . تسيه . وثانياً لأن رجلا فى سنى قد يدلى بأحكم النصائح : فإنى فى مقام أبيك وفى وسعك أن تقص على قصتك . هيا أيها الشاب ، وأسلم إلى قيادك . فمثل هذه المقابلات قد تكون أكثر جدوى مما يظن للوهلة الأولى ، كالذى

وقع لتليماك بن الملك أوليس كما تعرف . ففى يوم مبارك جمعته الصدفة بشيخ مسن اسمه منتور ، فتولى منتور مقاليد مصيره ، وتبعه أنى ذهب : والآن ألا تعرف من هو منتور هذا ؟

(يجذبه وهو يستمر فى كلامه ، ينزل الستار) .

الفصل الثاني

اللوحة الأولى

(مكان منبسط فى الجبل ، المغارة على اليمين ، ومدخلها تسده صخرة عظيمة سوداء . وعلى اليسار سلم من بضع درجات يؤدى إلى المعبد) .

المشهد الأول

(الجمهور ، ثم جوبيتر وأورست والمربى)

امرأة : (تجثو على ركبتيها أمام ابنها الصغير) : رباط الرقبة . هذه ثالث مرة أصلح لك فيها عقدته . (تمسح ثيابه بيدها) . ها أنت ذا قد صرت نظيفاً . كن عاقلا ، وابك مع الآخرين إذا طلب إليك البكاء .

الطفل : أمن هنا يتقدمون ؟

المرأة : نعم .

الطفل : أنا خائف.

المرأة : يجب أن تخاف، ياحبيبي وأن يعظم خوفك . دون ذلك لا يكون المرء شخصا أميناً .

رجل : اليوم سيتاح لهم أن يتمتعوا بجمال الجو.

آخر : من حسن الحظ . يجب ألا يغيب عنا أنهم مازالوا يحسون حرارة الشمس . فلما نزل المطر فى العام الماضى ، انقلبوا وحوشاً ضوارى .

الأول : ضوارى .

الثانى : وا أسفاه !

الثالث : بعد أن يرجعوا إلى جحرهم سنظل وحدنا لا أنيس يؤنسنا . وسأظل أتردد على هذه الصخرة أشاهدها وأقول فى نفسى : « الآن تخلصنا منهم لحول كامل »

الرابع : حقا ؟ أما أنا ، فليس فى ذلك ما يهدىء من روعى. بل سأبدأ فى التفكير منذ الغد كيف يكونون فى العام المقبل ، لأنهم يزدادون شراً عاما بعد عام .

الثانى : أقصر لسانك ، أيها الشقى ؛ فليس من البعيد أن يكون أحدهم قد تسرب من شق فى الصخرة وأخذ يطوف بيننا ؛ لأن من الموتى من يتعجل فيخرج قبل الأوان .

(ينظرون بعضهم إلى بعض) .

امرأة شابة : لماذا لا يبدءون من فورهم ؟ ماذا يعمل أهل القصر ؟ ماأركنهم إلى الكسل ! لا شيء أشق على نفسي من هذا الانتظار . فها نحن أولاء تحت سماء من نار ، ونقرع الأرض بأقدامنا وأعيننا ، لاتبرح هذه الصخرة السوداء كأنما شدت إليها بحبل ... وهم مثلنا يترقبون من خلف هذه الصخرة مستبشرين بما يبيتون لنا من شر .

امرأة عجوز : كفى أيتها العابثة المارقة ، كلنا نعرف ما يخيف هذه الفاجرة . فقد مات زوجها فى الربيع الماضى ، وكانت قد دأبت على غرس القرون فى رأسه طوال عشرة أعوام .

المرأة الشابة : نعم ، أعرف أنى خنته ما استطعت إلى ذلك سبيلا. ولكن كنت أحبه ، وقد أحطته بجنة من رعايتى . ولم يشك فى أمرى قط ، بل مات وعيناه تنظران إلى نظرة الكلب المعترف بالجميل . أما الآن بعد أن تكشف له كل شيء ، فقد انقلب فرحه ترحاً وامتلأ صدره بكراهيتى وانتابته الآلام . وبعد قليل سيخرج دخانا متصاعدا من هذه المغارة ، فيعانقنى ويتقمص جسمى كما لا يستطيع حى أن يفعل . وويلى حين أذهب به إلى البيت ، وقد التف حول عنقى كالفراء . لقد هيأت

له مطبوخات شهية وفطائر من دقيق ، وجبة مما كان يحب في غابر زمانه . ولكن ذلك لن يخفف من غيظه ، وهذه الليلة ... هذه الليلة بتمامها ، سيقضيها معى فى سرير واحد .

رجل : صدقت وحق الشيطان . ماذا يفعل إيجست ، كل هذا الوقت ، وماذا يدبر ؟ إنى لا أطيق هذا الانتظار.

رجل آخر : اندب حظك ، إذن ! أتظن أن ايجست أقل منا خوفا ؟ قل لى ، أتريد أن تكون مكانه ، وأن تقضى أربعا وعشرين ساعة مع أجاممنون وحدكما وجها لوجه ؟

المرأة الشابة : هذا الانتظار ، ما أقساه ، يلوح لى أنكم تنصرفون عنى شيئاً فشيئاً . أجل ، الصخرة لا تزال فى مكانها ولكن كلا منا فريسة سائغة للموتى ، وحيد كقطرة المطر .

(يدخل جوبيتر وأورست والمربى) .

جوبيتر : هيا إلى هذا المكان ، فهو أضمن للرؤية .

أورست : ها هم ، إذن ، مواطنو أرجوس ورعايا الملك أجاممنون الأوفياء .

المربى : ما أقبحهم ! انظر يا مولاى إلى لونهم الذى يشبه تماثيل الشمع ، وإلى أعينهم الغائرة . هؤلاء الناس يموتون من الخوف ، وهذه عاقبة المخرفين . وما عليك

إلا أن تنظر إليهم . وإذا أعوزك دليل آخر على سمو فلسفتى فانظر من بعدهم إلى لونى المزهر.

جوبيتر : لونك المزهر ! يا له من أمرخطير الشأن ! بضع زهرات على خديك لا تمنعك أيها الساذج من أن تكون ، كهؤلاء جميعا ، حمأة فى عينى جوبيتر. اذهب فإنك تنفث الطاعون نفثاً دون أن تعلم . أما هم فخياشيمهم مشبعة برائحتهم ،ولذا فهم يعرفون أنفسهم خيراً منك .

(الجمهور يتذمر قلقاً) .

رجل : (يصعد على سلم المعبد ويخاطب الجمهور) .أفى نيتهم أن يذهبوا بعقولنا ؟ هيا أيها الزملاء . لنضم أصواتنا ولنناد إيجست ، لأننا لا نستطيع أن نؤجل الاحتفال دقيقة واحدة بعد الآن .

الجمهور : إيجست ! المرحمة يا إيجست !

امرأة : أجل،المرحمة ! ! أليس هنا من يرحمنى ؟ بعد قليل سيصعد زوجى ممزق المنحر ، هذا الرجل الذى أنفقت عمرى فى كراهيته ، فيضمنى إلى صدره ويعصر جسمى بين ذراعيه الخفيتين اللزجتين.وسيكون خدينى ليلة بطولها . ليلة بطولها . ها !

(يغمى عليها) .

أورست : يا لجنون الحمقى ! ينبغى أن يقال لهؤلاء الناس ...

جوبيتر : نعم ، نعم ، أيها الشاب ؟ أكل هذا الضجيج من أجل امرأة دارت عينها ؟ رفه عن نفسك، فسترى كثيراً غيرها .

رجل : (يخر راكعاً .) ، إنى أفوح بالنتن ! إنى أنضح بالنجس ! أنا الجيفة القذرة . أنظروا إلى الذباب وقد نزل على نزول الغربان ! أيها الذباب المنتقم الجبار ، انهش بشرتى ، إملأها ثقوباً ومزقها ، أنشب خراطيمك فى لحمى حتى تنفذ إلى قلبى البذىء فتدميه . فلطالما أثمت ، أثمت آلاف المرات . أنا بالوعة القذارة ! أنا حفرة الغائط !..

جوبيتر : ما أطيب عنصر هذا الرجل !

رجال : (يقيمونه) ، كفى ! كفى ! ستستطيع أن تنادى بكل هذا عندما يحضرون بعد قليل .
(الرجل يظل مولها ، ويزفر وهو يدير عينيه .)

الجمهور : إيجست ! إيجست ! مر بافتتاح الحفل رحمة بنا .
(إيجست يظهر على سلم المعبد ومن خلفه كليتمنستر القسيس الاكبر والحراس .)

المشهد الثانى

(نفس الأشخاص — إيجست — كليتمنستر — القسيس الأكبر — الحراس .)

إيجست : أيها الكلاب ! كيف جرؤتم على الشكوى ؟ أغاب عن ذاكرتكم ما تعلمون من حقارة شأنكم ؟ وحق جوبيتر لأوقظن ذكرياتكم من سباتها . (يلتفت إلى كليتمنستر) . يجب أن نوطد العزم على البدء بدونها . ولكن لتأخذ حذرها ، فإن عقابى صارم أليم .

كليتمنستر : لقد وعدتنى بالطاعة ، فهى تستعد وتتهيأ ، أنا واثقة من ذلك . ولا ريب فى أنها قد غفلت قليلا عن نفسها أمام المرآة .

إيجست : للحراس ، إذهبوا إلى القصر ، وأحضروا إيلكترا طائعة أو كارهة . (الحراس يخرجون — للجمهور) . إلى أماكنكم ، الرجال عن يمينى والنساء والأطفال عن يسارى . حسن جداً .

(سكوت — إيجست ينتظر) .

القس الأكبر : هؤلاء الناس قد عيل صبرهم .

إيجست : أعرف ذلك . فلو أن حراسي ...

(الحراس يدخلون) .

أحد الحراس : مولاي ، لقد فتشنا عن الأميرة ، ولكن القصر خال من جنس البشر .

إيجست : حسن . هذا حساب سنصفيه فيما بعد . (للقس الأكبر .) إبدأ .

القس الأكبر : إرفعوا الصخرة .

الجمهور : ها !

(الحراس يرفعون الصخرة . القس الأكبر يتقدم حتى مدخل المغارة)

القس الأكبر : أنتم أيها المنسيون المهجورون ، يا من ثابوا إلى الحقيقة بعد سراب خداع ، أيها المهجورون فى قاع صفصف من الأرض ، أيها المتروكون فى ظلام الدجنة الحالك ، كأنهم غاز من غازات الشقوق ، أنتم يا من فقدوا كل شيء سوى نار الغيظ ، أيها الموتى هبوا ، فهذا عيدكم . تقدموا ، اصعدوا من بطن الأرض كغمامة هائلة من بخار الكبريت عصفت بها الرياح .

اصعدوا من جوف العالم ، أيها الموتى ، يا من تجرعوا غصة الموت مئات المرات . يامن يموتون موتة جديدة لدى كل دقة من دقات قلوبنا . باسم الغضب والمرارة ، باسم روح الانتقام ، أدعوكم أن تطفئوا من الأحياء غلة حقدكم ! تعالوا وانتشروا فى طرقاتنا كضباب كثيف ، تعالوا واندسوا بجحافلكم بين الأم وطفلها وبين الحديثة وخدينها . تعالوا فاحملونا على الأسى أن لم نكن من بين الأموات . هبوا يا عفاريت الإنس ، هبوا أيها الدود ، هبوا أيتها الأشباح ، هبوا أيتها المسوخ ، هبوا يا لإرهاب ليالينا . هبوا جميعاً ، أنتم أيها الجنود الذين ماتوا فى ضلال التجديف ، أيها التعساء المستضعفون ، يا قتلى الطوى ، الذين لم تكن أنة النزع منهم إلا اللعنة الفادحة ، انظروا تروا الأحياء أمامكم فريسة حية يكسوها الدسم . انقضوا عليهم كالصاعقة ، وانخروا أجسامهم حتى العظام . ألا هبوا ! ألا هبوا ! ألا هبوا !

(يرقص أمام مدخل المغارة ببطء أولا ثم يزداد فى السرعة شيئاً فشيئاً حتى يسقط متهالكاً .)

إيجست : هم الآن قائمون بيننا .

الجمهور : يا للشناعة !

أورست : لقد بلغت الروح الحلقوم . وأنا الآن سوف ...

جوبيتر : انظر إلى أيها الشاب ، انظر إلى فى وجهى ، هكذا ! هكذا ! لقد فهمت . فعليك الآن بالصمت .

أورست : من أنت ؟

جوبيتر : ستعرف من أنا بعد زمن وجيز .

(إيجست ينزل سلم القصر ببطء .)

إيجست : ها هم أولاء ماثلين بينا . (سكوت) . ها هو يا أوريس زوجك الذى نكلت به . ها هو يعانقك وتتساقط عليك قبلاته . ما أشد ما يضمك إليه ، ما أشد ما يحبك ، ما أشد ما يبغضك ! ها هى يا نسياس أمك التى أودى بحياتها إهمالك . وها أنت يا سيجست المرابى النذل ، وها هم مدينوك التعساء أجمعين ؛ سواء منهم من ماتوا فى المتربة ومن انتحروا حنقاً بعد ما خربت ديارهم . اليوم أنت المدين وهم دائنوك . وأنتم أيها الوالدون الأبرار ، غضوا من أبصاركم قليلا ، وانظروا إلى الأرض من تحت أقدامكم خجلا .

فهؤلاء أطفالكم الموتى يمدون إليكم أيديهم الحلوة، وكل المباهج التى أبيتم عليهم والآلام التى فرضتم عليهم تنوء كالرصاص بأرواحهم الصغيرة الحزينة الحقودة .

الجمهور : المرحمة !

إيجست : أجل ، المرحمة ! ألا تعلمون أن الموتى لا يرحمون ؟ إن أحقادهم لا تمحى ، لأن حسابهم قد أغلق إلى الأبد . علام تعول يا نسياس فى محو الأذى الذى جرعته لأمك . أعلى أعمال الخير ؟ ولكن أى خير يستطيع أن يصل إليها ؟ وإن روحها لنى لظى لا يلطف من جحيمها لفحة ريح واحدة ، وكل ما فيها ساكن لا تعتريه حركة ولا يغير منه مغير ، ولا شىء فيها ينبض بالحياة . إنها تصلى شمسا معروقة الأديم ، شمساً جامدة عديمة الحراك ، وستتقلب فى جمرها أبد الآبدين . أصبح الموتى وكأن لم يكونوا . أتدركون مرمى هذه الكلمة الصارمة ؟ أصبح الموتى وكأن لم يكونوا . ولذلك كانوا على آثامكم رقباء ، لا يدركهم فى الرقابة خور ولا تأخذهم بنا رحمة .

الجمهور : المرحمة !

إيجست : المرحمة ؟ أيها الممثلون التافهون ، إنكم اليوم أمام جمهور من المتفرجين . فهل تحسون نظرات هذه الملايين من الأعين الجامدة اليائسة تلقى بثقلها على وجوهكم وأيديكم ؟ إنها ترانا ، إنها ترانا ، إننا عرايا أمام مجمع الأموات . ها ! ها ! ها أنتم أولاء اليوم فى حيرة من أمركم؛ إنها تحرقكم ، تلك النظرات الخفية الصافية ، التى تفوق فى صفائها ذكرى النظرة .

الرجال : اغفروا لنا أن نحيا وأنتم أموات .

النساء : المرحمة ! ها نحن نحيط بنا وجوهكم وكل ما كان لكم فى هذه الحياة من متاع ، وها نحن نلبس عليكم ثياب الحداد دون انقطاع ، وها نحن نبكيكم من شروق الشمس إلى غروبها ومن غروب الشمس إلى شروقها . نحاول ، وعبثاً ما نحاول . لأن ذكراكم تتحلل وتندس بين أصابعنا ، ذكرى إن زادتها الأيام شحوبا لم تزدنا إلا تلبساً بالجريمة . أنتم تغادروننا ، أنتم تغادروننا وكأنكم الدماء تنزف من شراييننا ، فإن كان ذلك يهدىء من هياج أرواحكم ،

فاعلموا ، يافقداءنا الأعزاء،أنكم قدأفسدتم علينا الحياة .

الرجال : اغفروا لنا أن نحيا وأنتم أموات .

الأطفال : المرحمة ! إننا لم نولد بمحض إرادتنا ، ونذوب خجلا من أن نرانا نكبر . وكيف يتأتى لنا أن نهينكم ؟ انظروا ، إننا لا نكاد نحيا . فنحن نحاف الأجساد ، شاحبو الوجوه ، ضئال الأجسام ، لا تصدر منا أى ضوضاء ، ننساب فى طريقنا دون أن يهتز الهواء من حولنا ؛ إننا نخافكم ، أوه ! نخافكم خوفاً شديداً .

إيجست : سلام سلام ! إذا كان هذا مبلغ تحييكم،فماذا أعمل وأنا مليككم ؟ إن عذابى قد بدأ : زلزلت الأرض زلزالها واكفهروجه السماء ، لأن أعظم الموتى قد أذن بالظهور . ذلكم أجا ممنون ، الذى بيدى قتلته .

أورست : (وقد سل سيفه .) ، أيها الداعر ! لن أسمح لك بأن تخلط اسم أبى بمهازلك القردية .

جوبيتر : (يحوطه بذراعيه ليحجزه) : رويدك أيها الشاب ، رويدك !

إيجست : (ملتفتا .) ، من يجرؤ ؟ (إيلكترا ظهرت على
سلم المعبد فى ثوب أبيض ، إيجست يلمحها)
إيلكترا !

الجمهور : إيلكترا !

المشهد الثالث

(نفس الأشخاص — إيلكترا .)

إيجست : أجيبيني يا إيلكترا ، ما معنى هذا الثوب ؟

إيلكترا : لبست أفخر ثيابي . أليس هذا يوم العيد ؟

القس الأكبر : أتستخفين بالموتى ؟ هذا عيدهم ، وأنت تعرفين . فكان عليك أن تجيئي في لباس الحداد .

إيلكترا : الحداد ؟ ولماذا هذا الحداد ؟ لست أخاف موتاي ، ولا شأن لي بموتاكم .

إيجست : الحق ما قلت ، إن موتاك ليسوا موتانا . أنظروا إليها في ثوب العاهرة ، أنظروا إلى سليلة أتريه الصغيرة ، أتريه الذي ذبح أولاد أخيه ذبح الأنذال ؛ فهل أنت إلا البرعم الأخير من شجرة ملعونة ؟ آويتك إلى قصري إحسانا ؛ واليوم أعترف بسوء ما صنعت ، لأن الذي يجري في عروقك إنما هو دم الأتريين الموبوء ، وإن لم أتدارك الأمر سرت إلينا عدوى فساده ، اصبري

قليلا أيتها الكلبة ، وستعرفين مبلغ نكالى . بل ستضيق عيناك عن كل ما تنفجر به نفسك من بكاء .

الجمهور : تبا للكافرة !

إيجست : أتسمعين ، أيتها الشقية ، هدير الشعب الذى أحنقته ؟ أتسمعين اللقب الذى خلعه عليك ؟ وعزة الآلهة ، لو لم أكن بينهم لأكبح من غيظهم ، لقطعوك إربا إربا .

الجمهور : تبا للكافرة !

إيلكترا : أمن الكفر أن يبتهج الإنسان ؟ ما لهم لا يبتهجون ، هم أيضاً ؟ من حرم عليهم هذا ؟

إيجست : تضحك فى حضرة أبيها وهو ميت يغطى وجهه جامد الدم .

إيلكترا : أنى لك أن تتكلم عن أجا ممنون ؟ ألا تدرى أنه يطرق بابى ليلا ليناجينى ؟ أتدرى ما يسر فى أذنى بصوته الصاهل المتهدج من كلمات الحب والأسى ؟ نعم ، إننى أضحك ، للمرة الأولى فى حياتى ، إننى أضحك وأشعر بالسعادة : أتزعم أن سعادتى لا تغمر بالبشر قلب أبى ؟ بل لو كان حاضراً ، لو رأى ابنته فى ثوبها الأبيض ،

ابنته التى صفدتها بأغلال العبودية ، لو رآها ترفع الرأس عالياً ، ورأى أن الكوارث لم تنل من كبريائها ، ما حلم طرفة عين بلعنها ، بل لبرقت عيناه الشاخصتان فى وجهه المهشوم ، وافترت شفتاه الداميتان عن ابتسامة الرضى .

المرأة الشابة : وإن كانت تنطق بالحقيقة ؟

أصوات : كلا : إنها كاذبة ، إنها مجنونة . اذهبى عنا يا إيلكترا ، وإلا حلت بنا عاقبة كفرك .

إيلكترا : مما أنتم خائفون ، وها أنذى أسرح النظر فيما حولى ولا أرى إلا ظلالا ؟ أصغوا إلى وتدبروا هذا الأمر الذى تكشف لى والذى لعله يغيب عن علمكم : يوجد فى بلاد اليونان مدن سعيدة ، مدن بيضاء وادعة تأوى إلى أشعة الشمس طلباً للدفء ، كما تفعل الضبّاب . فى ساعتنا هذه ، تحت سمائنا تلك يمرح الأطفال فى ميادين كورنثة ، وأمهاتهم ينظرن إليهم باسمات شامخات لا يستجدين غفران السماء أن جئن بهم إلى الحياة . أتدركن ذلك يا أمهات أرجوس ؟ أتعرفن كبرياء المرأة تنظر إلى ولدها فتقول فى نفسها : «أنا التى حملته فى حشاى ؟» .

إيجست : كفى عن كلامك ، وإلا بطشت بك بطشة تُرد كلماتك إلى صدرك .

أصوات من بين الجماهير : أجل ، أجل أسكتها ! وكفاها تجديفاً !

أصوات أخرى : كلا ، بل دعوها تتكلم ، دعوها تتكلم ، فإن أجا ممنون هو الذى يلهمها ما تقول .

إيلكترا : ما أجمل الجو ! فى كل بقعة من بقاع السهل يحيا أناس آمنون ، يرفعون إلى السماء رءوسهم ، قائلين ، والبشر ينير وجوههم : «ما أجمل الجو !» وأنتم يا جلادى أنفسكم ، أنسيتم هذا البشر المتواضع ، بشر الفلاح يمشى على الأرض ويقول : «ما أجمل الجو !» ؟ ها أنتم أولاء مغلولى الذراعين مطأطئ الرءوس ، تكادون أن تمسكوا أنفاسكم عن الخروج . لصقت بكم أمواتكم ، فظللتم جامدين مكانكم تخافون أن يتساقطوا لدى أيسر حركاتكم . وهذا ما ينغص حياتكم ؛ أحق ما أقول ؟ لو مد أحدكم يده فأحس نفحة من بخار ندى ، لظنها روح أبيه أو أحد أسلافه . انظروا إلىَّ طليقة الذراعين فسيحة النفس ، أتمطى كمن يستيقظ

من نومه ، وأشغل مكانى تحت الشمس ، كل مكانى تحت الشمس . أرأيتم أن السماء قد خرت على رأسى ؟ ها أنذى أرقص وأتمادى فى الرقص، فلا أحس غير النسيم يهب فيداعب شعرى . فأين الموتى ؟ أتتوهمون أنهم يرقصون معى على نغمة الموسيقى ؟

القس الأكبر : قلت لكم ، يا أهل أرجوس ، إن هذه المرأة قطعة من الكفر ، فويل لها وويل لمن يصغى إليها منكم .

إيلكترا : موتاى الأعزاء ، أختى الكبرى إيفيجينى ، وأنت يا أجا ممنون ، أبى ومليكى الذى لا مليك لى سواه .

: إن كنت قطعة من الكفر ، وإن كنت قد آذيت روحيكما الكئيبتين ، فعجلا بإظهار آية حتى أكون على بينة من أمرى . أما إذا سركما مسلكى ، فإنى أتوسل إليكما يا حبيبى أن تلوذا بالصمت ؛ ولتكف أوراق الشجر عن الحفيف ،وعشب الأرض عن التمايل حتى لا يعكر معكر صفو هذا الرقص المقدس . لأنى أرقص للحبور ، أرقص لسلام البشر ، أرقص للسعادة والحياة .

يافقيديّ ، أسألكما السكون حتى يعرف جميع من
يرونني أن قلبيكما معي .

(ترقص)

أصوات من بين الجمهور : ها هي ذي ترقص خفيفة كاللهب وتتمايل في وهج الشمس كرقعة العلم الخفاق ... ولا نسمع للموتى همساً .

المرأة الشابة : هذي سيما التجلي تشرق على محياها .. كلا ، ليس هذا بوجه كافرة . نعم يا إيجست ؟ ألا تفوه بكلمة ؟ لماذا لا تجيب ؟

إيجست : وهل يليق بإنسان أن يحاجّ الحشرات الدنيئة ؟ كلا بل يبيدها ! لقد أخطأت فيما مضى إذ أبقيت على حياتها ، ولكنه خطأ يمكن إصلاحه . فلا تخافوا ولا تحزنوا ، وسأسحق بها الأرض سحقاً ، وبسقوطها تسقط آخر ورقة من شجرتها الملعونة .

الجمهور : الوعيد ، يا إيجست ، لا يغني عن الجواب . أليس لديك شيء آخر تقوله ؟

المرأة الشابة : ها هي ذي ترقص وتبتسم ناعمة بالسعادة ، وكأن الموتى يرعونها . إيلكترا يا خير من يُغبط ! انظري ، فها أنذي بدوري أرسل ذراعي طليقتين وأكشف لأشعة الشمس عن نحري !

أصوات من بين الجمهور : الموتى صامتون : لقد كذبت علينا يا إيجست .

أورست : عزيزتى إيلكترا .

جوبيتر : لأعصفن بغرور هذه الصبية . (يمد ذراعيه .) بوسيدون كاريبو كاريبون لولابى .

(الصخرة الكبيرة التى كانت تسد المغارة تتدحرج مقرقعة حتى سلم المعبد . إيلكترا تكف عن الرقص) .

الجمهور : يا للهول !

(سكوت طويل .)

القس الأكبر : أيها الشعب الجبان المستخف : ها هى ذى لعنة الموتى قد حلت ! وها هو ذا الذباب ينقض علينا طيراً أبابيل ، كأنه سحب سوداء . لقد أصغيتم إلى صوت الكافرة ، فحق علينا العذاب .

الجمهور : نحن لم نفعل شيئاً ولم نرتكب إثماً ، بل أقبلت علينا فخلبت عقولنا بكلماتها المسمومة ! إلى النهر أيتها الساحرة ، إلى النهر ! إلى الحريق !

امرأة عجوز : (مشيرة إلى المرأة الشابة) ، وتلك أيضاً كانت تلتهم خطابها كأنه الشهد . فانزعوا ثيابها واجلدوها عارية حتى يسيل الدم من جسمها .

(يقبض على المرأة الشابة ، ويصعد بعض الرجال على السلم متجهين نحو إيلكترا يريدون أن ينقضوا عليها) .

إيجست : (وقد اعتدل فى هيئته .) ، سكونا ، أيها الكلاب ! ارجعوا إلى أماكنكم فى نظام ، وكلو إلىّ أمر العقاب . (سكوت) . أجل أرأيتم عاقبة عصيانى ؟ أيخامركم الآن شك فى رئيسكم ؟ هيا ، عودوا إلى دوركم تصحبكم الموتى ، وسيظلون أضيافكم هذا اليوم بتمامه . فافسحوا لهم على موائدكم وفى مرافقكم وعلى أسرتكم ، وحاولوا أن تنسوهم بحسن سلوككم ما رأوا من تجديف . أما أنا ، فقد غفرت لكم رغم ارتيابكم الذى جرح عزتى . وأما أنت يا إيلكترا ...

إيلكترا : أما أنا فماذا ؟ لا شىء إلا أنى أخطأت مرماى . والمرة القادمة سأجتهد فى أن أكون أسد رميا .

إيجست : لن أتيح لك هذه الفرصة ، إن قوانين المدينة تحرم العقاب فى يوم العيد ، أنت تعرفين ذلك وأردت أن تستغليه . ولكنك قد فقدت حقك فى مواطنة أهلها . وقد طردتك منها ، فاخرجى

حافية القدمين دون متاع ، لا يغطى بدنك إلا ثوب العار الذى تلبسين . وإذا طلع عليك صباح الغد ، وأنت بين حوائطنا ، فقد أصدرت أمرى إلى كل من يراك بأن يصرعك كما تصرع الشاة الجرباء .

(يخرج متبوعاً بالحراس . الجمهور يمر تباعاً أمام إيلكترا وكل منهم يرفع قبضة يده فى وجهها .)

جوبيتر : نعم يا مولاى ؟ أعتبرت ؟ هذه قصة أخلاقية لا ريب فيها ، وإلا فإنى على ضلال مبين : عوقب الطالحون بشرهم ، وجوزى الصالحون بخيرهم . (مشيراً إلى إيلكترا .) هذه المرأة ...

أورست : هذه المرأة هى أختى أيها الرجل . تنح ، فلى معها كلام .

جوبيتر : (يحدق فيه لحظة ثم يهز كتفيه .) لك ما شئت .

(يخرج يتبعه المربى) .

المشهد السابع

(إيلكترا على سلم المعبد — أورست .)

أورست : إيلكترا !

إيلكترا : (ترفع رأسها وتنظر) . آه ! ها أنت يا فيليب ؟

أورست : ليس في مقدورك أن تبقى في هذه المدينة منذ اليوم ، يا إيلكترا . فأنت في خطر .

إيلكترا : في خطر ؟ آه ! هذا حق . أرأيت كيف طاش سهمي ، وعليك أنت جزء من تبعة إخفاق ، ولكني لا أحقد عليك .

أورست : ماذا صنعت بك ؟

إيلكترا : لقد أغويتني . (تنزل قادمة نحوه) . دعني أنظر في محياك ، نعم لقد سحرتني عيناك .

أورست : الوقت من ذهب يا إيلكترا ؛ فاصغي إلى : لقد وعدني أحد الأشخاص أن يحصل لى على جوادين . وسأردفك خلفى .

إيلكترا : كلا .

أورست : ألا ترغبين فى الفرار معى ؟

إيلكترا : لا أريد الفرار على أية حال .

أورست : سأذهب بك إلى كورنثة .

إيلكترا : (ضاحكة.) ها! كورنثة .. ألا ترى أنك تغوينى عن غير قصد ؟ ماذا أفعل فى كورنثة ؟ يجب ألا أحيد عن سبيل الحكمة . فبالأمس ، وبالأمس فقط كنت متواضعة الرغبات : فكنت حين أقوم بالخدمة على المائدة أغض من طرفى وألقى من حين لحين بنظارة خاشعة ، من خلال رموش عينى ، على الزوجين الملكيين ، على الشمطاء بوجهها الميت ، وعلى زوجها البدين الشاحب بفمه الرخو وتلك اللحية السوداء التى تمتد من أذنه إلى أذنه ، كأنها قطيع من العناكب. كنت أراهما فأحلم بيوم أراهما فيه وقد خرج من بطنيهما المبقورين خطان من الدخان ، من الدخان الرقيق الذى يشبه زفير المتكلم فى صباح يوم بارد ، يتصاعدان مستقيمين . أقسم لك، يا فيليب . أن ذلك كان مرتجاى الفذ . أما أنت فلا أدرى ماذا تريد ، ولكن لا يجوز لى أن أصدقك ، لأن عينيك لا توحيان بالتواضع .

أتدرى ما الذى كان يدور بفكرى قبل أن نلتقى ؟ إن غاية الحكيم الفذة على وجه الأرض هى أن يرد الأذى يوماً إلى من سعى إليه بالأذى .

أورست : لو أصغيت إلى، يا إيلكترا ، لعلمت أن الحكيم فى طوقه أن يتمنى أشياء أخرى لا عداد لها دون أن يحيد عن سبيل الحكمة .

إيلكترا : لا أريد أن أصغى إليك بعد أن بالغت فى إيذائى ، فقد جئت إلى بعينيك الظمآوين ووجه عذب كوجه العذارى ، فسلبتنى الحقد الذى تغلى به نفسى ، إذ بسطت راحتى فخر منها ما أمسكت من حقد لم يكن لى متاع سواه ، أقنعت نفسى بقدرتى على شفاء الناس بسحر الكلام . وقد رأيت إلام انتهيت : فهم يعشقون الأذى الذى يعانون ، لأنهم فى حاجة دائمة إلى قرحة مألوفة لا ينفكون يحكونها بأظافرهم القذرة لكيلا تلتئم . والحق أن لا علاج لهم إلا بالقوة ؛ لأن الأذى لا يستأصل إلا بالأذى . وداعاً يا فيليب ، وكلنى لأحلامى الخبيثة .

أورست : ولكنهم سيقتلونك .

إيلكترا : عندنا بيت حرام ، هو معبد أبولون ، يلوذ به الجناة أحيانا فلا تمتد يد إلى شعرة من شعرهم ما داموا فيه . سأختبىء فى محرابه .

أورست : لماذا تردين معونتى ؟

إيلكترا : ليس من قبلك ما أنتظر المعونة . بل سيجىء غيرك لخلاصى . (هنيهة .) أعلم أن أخى حى لم يمت ، وإنى فى انتظاره .

أورست : وإذا لم يجىء ؟

إيلكترا : سيجىء . بل لا محيص له عن المجىء . أتعى ما أقول ؟ بدمه تمتزج الجريمة والشقاء كما ترانى ؛ جندى عملاق ورم المقلتين أحمر العينين كما كان أبونا ؛ يغلى مرجله بالغضب ولا يخلو لحظة من ألم ، اشتبك فى مقدوره كما تشتبك سنابك الجياد المبقورة البطون فى أمعائها ؛ فأصبح لا يستطيع القيام بحركة ، مهما كانت ، دون أن يستل حشاه . سيأتى لا محالة ، لأن هذه المدينة تجتذبه إليها . ففى هذه المدينة ، دون سواها ، يستطيع أن يرتكب من الشر أفدحه ، وأن يجر على نفسه من الشر أفدحه . سيأتى مطرق الرأس آلماً هادرا . إن قلبى ليفرق رعباً لذكره . أراه ليلا فى المنام

فأفزع من نومى مرتعدة صارخة . ولكنى أنتظره وأحبه ، فيجب أن أبقى هنا كيما أوجه خطى غيظه . لأنى ما زلت محتفظة برأسى ، وفى مقدورى أن أريه الجناة بإشارة من أصبعى قائلة : «اطعن يا أورست ، اطعن : هم هؤلاء » .

أورست : وإذا لم يكن كما تتوهمين ؟

إيلكترا : وكيف تريد أن يكون،وأبوه أجا ممنون وأمه كليتمنستر ؟

أورست : وإذا كان قد مج هذه الدماء بعد أن نشأ وتربى فى مدينة سعيدة ؟

إيلكترا : إذن لبصقت فى وجهه قائلة : امش أيها الكلب، اذهب بين النساء ، فما أنت إلا واحدة منهن . ولكن ساء ما حكمت . لأن سليل أترية لن يحيد عن مقدور الأتريين ، ولئن اخترت العار على الجريمة ، فشأنك وما تريد . ولكن مصيرك سيدركك ولو كنت فى فراشك . فتبوء بالعار أولا ، ثم ترتكب الجريمة رغم أنفك .

أورست : إيلكترا ! أنا أورست ..

إيلكترا : (صائحة) . كذبت !

أورست : أقسم بروح أبى أجا ممنون بأنى أورست. (هنيهة) .

ما الذى يمنعك أن تبصق فى وجهى ؟

إيلكترا : وكيف لى أن أقوى على ذلك ؟ (تنظر إليه) . هذه الجبهة الوضاءة هى جبهة أخى ، وهاتان العينان البراقتان هما عينا أخى . أورست ! آه ! كنت أفضل أن تظل فيليب ، وأن يكون أخى قد مات . (بحياء) . أصحيح أنك عشت فى كورنثة ؟

أورست : كلا ، بل قام بتربيتى قوم من أعيان أثينا .

إيلكترا : عليك سيما الشباب . ألم يتهيأ لك يوما أن تقاتل ؟ هذا السيف الذى تتقلد ، ألم تستله يوما ؟

أورست : قط .

إيلكترا : كنت أحس أنى أقل وحدة قبل أن أعرفك : إذ كنت أنتظر الآخر . ما فكرت لحظة إلا فى قوته ، ولم أفكر لحظة فى ضعفى . والآن هاأنت أورست ، ها أنت ذا .. أنظر إليك فأرانا يتيمين (هنيهة) . ولكن أيقن أنى أحبك أكثر مما أحببته .

أورست : إذا كنت تحبيننى فتعالى ولنفر معا .

إيلكترا : أفر أنا ؟ معك ؟ هنا وفى هذا المكان سيجرى القضاء بما قدر للأتريين ، وما أنا إلا من أتريه ، لا أسألك شيئا ، وليس لى أن أكلف فيليب بأى أمر ، ولكنى لن أبرح أرجوس .

(جوبيتر يظهر في قاع المسرح ثم يختبىء لينصت إلى ما يقولان) .

أورست : أنا أورست .. أنا أخوك يا إيلكترا . وأنا أيضاً من آل أتريه . وليس مكانك إلا حيث أكون .

إيلكترا : لست أخي ولا أعرفك . لقد مات أورست ، والخير ماكان . ومنذ اليوم سأكرم روحه مع روحيْ أبي وأختي . أما أنت ، أنت الذي جاء يغتصب اسم الأتريين ، فمن تكون حتى تدعى أنك واحد منا ؛ قل لى ، أقضيت حياتك فى ظل اغتيال متعمد ؟ إنك طفل مدلل حلو الشمائل جبل على التروى ، وكان قرة عين لمتبنيه ، طفل نظيف تعهدوه بالغسل كل صباح وكل مساء ، تضىء عيناه من فرط الثقة . اشتدت بالناس ثقتك ، لأنك لم تر منهم إلا ابتساما عريضا ، سواء أكنت على المائدة أم فى المخدع أم فوق السلم ، تسرح خاطرك الوديع من حين لحين وتروح تقرر مطمئن النفس بأن العالم ليس من الشر على مايدعى المخبولون . وتجد لذتك فى الاستسلام إليه ، كما تستسلم إلى حمام دافىء محكم التأثيث تتنفس فيه على تمام راحتك . أما أنا فلم أناهز السادسة من

عمرى حتى كنت خادمة أرتاب فى كل شيء وفى كل إنسان . (هنيهة) . اذهب عنى أيها الروح الجميل ، فما لى حاجة بجميل الأرواح ، إنما أريد من يشاركنى الجريمة .

أورست : أتظنين أنى سأتركك وحدك ؟ ماذا تفعلين ، إذن ، بعد أن فقدت كل آمالك حتى آخرها ؟

إيلكترا : ذلك لا يعنى غيرى . وداعا يا فيليب.

أورست : أتطردينى ؟ (يسير بضع خطوات ثم يتوقف) . أمن ذنبى ، أنا ، ألا أشبه هذا المارد الثائر الذى كنت ترقبين ؟ لو رأيته لأخذت بيده وقلت له : « إطعن ! » أما أنا فلم تكلفينى أمرا . من أنا إذن يا إلهى ، حتى تلفظنى شقيقتى دون أن تعجم عودى ؟

إيلكترا : آه يا فيليب ، ليس فى طوقى ولن يكون فى طوقى أن أطرح هذا الحمل الثقيل على قلب يخلو من البغض .

أورست : (مثقلا) : ما أحسن ما قلت : قلت قلب يخلو من البغض . ويخلو من الحب أيضا . أما أنت فكان فى مقدورى أن أحبك ، وكان فى مقدورى . ولكن ماذا ؟ لا حب ولا بغيضه دون بذل .

ما أنعم رجلا حامى الدم ثابت القدمين بين متاعه
وضياعه ، بذل نفسه يوما للحب والبغض ،
وبذل فوق ما بذل من ذات نفسه ضياعه ودوره
وذكرياته ! من أنا،ومالى مما يبذل ، وأنا
لا أكاد أوجد ؟ إنى أشبه بالشبح من كل هذه
الأشباح التى تجول فى المدينة فى يومنا هذا . لقد
عرفت ضروبا من حب الأشباح ، حائرة مخلخلة
كالبخار . ولكنى أجهل عواطف الأحياء
المركزة .(منيهة) . يا للعار ! لقد أبت إلى
مسقط رأسى ، فأبت شقيقتى أن تعترف بى .
أين أذهب الآن ، وأى مدينة أرتاد ؟

إيلكترا : أليس من مدينة تنتظرك فيها فتاة حلوة المحيا ؟

أورست : لا أحد ينتظرنى . بل أهيم من مدينة إلى مدينة
غريبا على الآخرين وعلى نفسى ، وكل مدينة
تغلق أبوابها خلفى ، كأنى الماء الراكد ، فإذا
غادرت أرجوس ، فما الذى أخلف فيها سوى
خيبة الألم المريرة تكوى قلبك ؟

إيلكترا : لقد حدثتنى عن مدن سعيدة ...

أورست : إنى أتشبث بالسعادة : أريد ذكرياتى ، أريد أديم
الأرض التى ولدت على ترابها ، أريد مكانى بين

أهل أرجوس . (سكوت) . إيلكترا لن أبرح هذا المكان .

إيلكترا : أتوسل إليك ، يا فيليب ، أن تذهب ، فإنى مشفقة عليك ، اذهب إن كنت عزيزة لديك ؛ لن تصيب من هنا إلا شراً ولن أصيب من طهارة قلبك إلا إحباط ما دبرت .

أورست : لن أذهب .

إيلكترا : أو تظن أنى سأدعك دنا بطهارة قلبك حكماصامتا مرهوبا على أفعالى : لماذا هذا اللجوج ؟ فليس هنا من إنسان يتمنى مقامك .

أورست : لم يبق لى إلا هذه الفرصة ، فلا تحرمينى إياها يا إيلكترا . أرجو أن تفهمينى : أريد أن أكون رجلا ينتمى إلى بقعة من بقاع الأرض ، رجلا بين الرجال ، أنظرى إلى العبد يمر مكدودا عابسا يرزخ تحت حمله الثقيل ، يجر ساقيه وينظر إلى قدميه ، لا إلى شىء غير قدميه ، ليأمن الزلل ؛ العبد فى مدينة ما ، وهذه حاله ، كالورقة بين الورق والشجرة فى قلب الغابة ، تحيط به أرجوس ثقيلة قائظه مليئة بنفسها . أريد أن أكون هذا العبد يا إيلكترا . أريد أن أجذب من حولى

هذه المدينة ، فألتف بها كما يلتف المرء بالغطاء . لن أبرحها .

إيلكترا : لوأقمت بيننا مائة عام ، ما كنت إلا غريبا عنا، إلا وحيداً أبلغ فى وحدته من ابن السبيل ، يلقى إليك الناس بنظرات تنفلت من طرف العين وتخرج من بين أجفان مسدلة . وإذا لحوك مارا بقربهم ، غضوا من أصواتهم .

أورست : أ كل من حدثته نفسه بخدمتكم يرتطم بهذا الحاجز الصلد ! لى ساعد يقوى على الدفاع عن المدينة ، ومعى من الذهب ما يخفف من ويلات البائسين .

إيلكترا : إننا لا نعدم الضباط المحنكين ، ولا القلوب العامرة بفعل الخير .

أورست : إذن ...

(يخطو بضع خطوات مطأطىء الرأس . يظهر جوبيتر فينظر إليه وهو يفرك راحتيه) .

أورست : (رافعاً رأسه) : آه لو استطعت أن أرى وجه الصواب . آه يازيوس! زيوس ، يا عاهل السماء ، لم أوجه إليك وجهى إلا قليلا ، ولم تأخذ بيدى إلا أقل من القليل ، ولكنى أشهدك بأنى لم أرد

الخير ما استطعت. وأنا الآن مكدود مكروب ، لا أميز بين الخير والشر ، ويعوزني من يخط لي الطريق . زيوس ، أيليق بابن ملك حيل بينه وبين مسقط رأسه أن يخنع للنفي في خشوع الصالحين ، وأن يخلي المكان مطأطيء الرأس كالكلب استلقى على الأرض ليستجم ؟ أتلك مشيئتك ؟ لاأستطيع أن أصدق . ومع ذلك ، ومع ذلك فأنت الذي حرم إراقة الدماء ... آه ! منذ الذي تكلم في إراقة الدماء ؟ لم أعد أدرى ما أقول ... زيوس ، أضرع إليك ، إذا كان الخنوع والذلة قانونك الذي فرضت عليّ ، فاكشف لي عن إرادتك بآية من الآيات ، لأني حائر لا أدرى وجه الصواب .

جوبيتر : (مخاطبا نفسه) . سمعا وطاعة . أنا طوع إشارتك ! أبركساس ، تسيه ، تسيه !

(النور ينشق حول الصخرة)

إياكترا : (تنفجر ضاحكة) . ها ! ها ! اليوم تمطرنا السماء بمعجزاتها ! انظر يا فيليب الورع ، انظر ماذا يفيد إنسان يستشير الآلهة ! (تأخذها نوبة من الضحك الجنوني) . الشاب الطيب ، فيليب

الورع : « أنزل على آية يازيوس ، أنزل عليّ آية » . وإذا بالنور ينشق حول الصخرة المقدسة . اذهب إلى كورنثة ! إلى كورنثة ! بأقصى ما تستطيع .

أورست : (ناظراً إلى الصخرة) إذن ... أهذا هو الخير؟ (هنيهة ، ينظر دائما إلى الصخرة) . أن ينسل الإنسان فى خفة ، بأقصى الخفة ، ولا يدع أن يقول « عفواً » و« شكراً » ... أهذا هو ؟ (هنيهة . ينظر دائماً إلى الصخرة) الخير ... هذا خيرهم ... (هنيهة) . إيلكترا !

إيلكترا : عجل بالذهاب ! عجل بالذهاب ، لا تخيب هذه الطائر الرءوم التى تحنو عليك من قمةالأولمب (تتوقف مشدوهة) مابك ؟

أورست : (بصوت قد تبدل) . هناك طريق أخرى.

إيكلترا : (مفزعة) . لا تكلف نفسك الشريا فيليب .لقد طلبت أوامر الآلهة ! والآن قد عرفتها .

أورست : أوامر ؟ ... أجل ، أتعنين هذا الضوء أمام ذلك الحجر الضخم ؟ لم يكن لى هذا الضوء . والآن ليس لأحد على من سلطان .

إيلكترا : إنك لتتكلم بالألغاز .

أورست : لقد بعدت عنى دفعة واحدة .. كل شىء قد تبدل ! فقد كان من حولى شىء حى حار ... وقد مات ... صار كل شىء إلى فراغ . فيا لهذا الفراغ الواسع الممتد الذى يضل فيه البصر ... (يخطو بضع خطوات) . ألا تشعرين بأن الجو قد برد ؟.. ماهذا الذى ... ما هذا الذى قد مات ؟

إيلكترا : فيليب...

أورست : قلت لك إن هناك طريقا أخرى ... هى طريقى .ألا ترينها . إنها تبدأ من هنا وتهبط نحو المدينة . فلابد من الهبوط ، أتفهمين ؟ الهبوط إليكم فى أعماق البئر ، فى أقصى أعماقها ...(يتقدم نحو إيلكترا) . أنت أختى يا إيلكترا ، وتلك المدينة مدينتى . أى أختى !

(يمسك بذراعها) .

إيلكترا : دعنى ! إنك تؤذينى ، إنك تذعرنى ، لست لك .

أورست : أعرف ذلك . أجل ، حتى الآن ؛ فما زال نصيب الخفة منى كبيراً . فعلى الآن أن أوقر نفسى بجريمة ثقيلة الوزن ، تهوى بى فى خط عمودى حتى أعماق أرجوس .

إيلكترا : ماذا تنتوى أن تعمل ؟

أورست : تأنَّى ودعيني أودع هذه الخفة الصافية التي كانت خفتي ، دعيني أودع شبابي ، لأنه إن كان في أثينا وكورنثة أمسية تفيض بالغناء والطيب ، فلن تكون من أمسيتي بعد اليوم ... وأصبحة تشرق بالأمل أيضا ... وداعا ! وداعا ! (يتقدم نحو إيلكترا) . تعالى يا إيلكترا : انظرى إلى المدينة ، ها هى ذى أمامك حمراء من وهج الشمس ، تعج بالناس والذباب في هذا الفتور الملح من عصر يوم قائظ ، ها هي ذى تطردنى بكل حوائطها ، بكل سقوفها ، بكل أبوابها المغلقة . ومع ذلك فهى ممكنة لمن يريد أن يستولى عليها . ذلك ما أحسسته منذ الصباح . وأنت أيضاً ، يا إيلكترا ، ممكنة لمن يستولى . وسأستولى عليك . سأصير الفأس التي تشطر هذه الحوائط المستعصية إلى شطرين ، وتبقر بطون هذه الدور المتنطعة في تقواها ، فتبعث جراحها الفاغرة رائحة الطعام والبخور ؛ سأصير البلطة التي تغور في قلب هذه المدينة ، كما تغور البلطة في قلب شجرة البلوط .

إيلكترا : ما أشد ما تحولت : عيناك كفتا عن البريق وصارتا

قاتمتين . وا أسفاه ! لقد كنت مثال الوداعة يا فيليب وها أنت الآن تخاطبنى كما كان الآخر يخاطبنى ، فى المنام.

أورست : أصغى إلىّ : هؤلاء الناس الذين يرتعدون فرقا فى غرفاتهم المظلمة ، يحيط بهم فقداؤهم الأعزاء ، ما ترين لو أخذت على كاهلى جميع خطاياهم ؟ لو أردت أن ألقب عن جدارة « بسارق الندم » ! وأن أفسح فى نفسى مكانا لجميع توباتهم : من المرأة التى خانت زوجها ، إلى التاجر الذى أهمل أمه حتى ماتت ، إلى المرابى الذى دأب يمتص مدينيه حتى الممات ؟ إذا أصبحت ميدانا للذعات من الندم تربو على ذباب أرجوس ، ميدانا لكل ما فى المدينة من ندم ، أفيحل لى يومئذ حق المواطن بينكم ؟ أأعتبر فى بيتى الشرعى أن أكون بين حوائطكم الملطخة بالدماء ، كما يكون الجزار فى مكانه الطبيعى إذا لبس مئزره الأحمر وراح يجول فى حانوته بين الثيران التى سلخها ؟

إيلكترا : أتريد أن تكفر عن سيئاتنا ؟

أورست : أن أكفر ؟ إنما قلت أن أفسح لها فى نفسى مكانا

ولم أقل شيئا عما أفعل بهذه الطيور الصاخبة : فربما لويت أعناقها .

إيلكترا : وأنى لك باحتمال كل شرورنا ؟

أورست : أنتم لا تبتغون إلا التخلص منها ، ولا يمسكها فى قلوبكم إلا سلطان الملك والملكة .

إيلكترا : الملك والملكة ... فيليب !

أورست : ماكنت أريد أن أريق قطرة واحدة من دمهما . والآلهة شهيدة على ما أقول .

(سكوت طويل) .

إيلكترا : إنك لا تزال حدثا ضعيفا ...

أورست : آلآن تتقهقرين ؟ أخبئينى فى القصر وخذى بيدى هذا المساء حتى مخدع الملكة ؛ وسترين إذا كنت حدثا ضعيفا .

إيلكترا : أورست !

أورست : لقد دعوتنى أورست للمرة الأولى .

إيلكترا : أجل ، فأنت أنت ، أنت أورست . لم أعرفك من قبل ، لأنى على غير هذه الحال ترقبتك ، ولكنى أحسست ألف مرة فى منامى هذا الطعم المر المحموم

فى فمك الذى أحسه فيك الآ ن . ها أنت ذا إذن قد أقبلت يا أورست وأجمعت أمرك . وها أنذى كما رأيتنى فى المنام ، أرانى على أعتاب هذا الحدث المبرم . ونفسى توجس خيفة ، كما رأيتنى فى المنام . إيه أيتها الساعة المنتظرة بفارغ الصبر ، المخوفة فوق الحد ! الآن تتابع اللحظات يجر بعضها بعضا كأجزاء الآلة الميكانيكية . ولن يقر لنا قرار حتى أراهما مجندلين على ظهريهما ، ووجهاهما كالتوت المسحوق . آه ، كل هذا الدم ! أنت الذى ستريقه ، أنت أنت ، وكنت من قبل حلو العينين ، وا أسفاه ! لقد ذهبت تلك الحلاوة ولن أراها منذ اليوم ، لن أرى فيليب أبد الآبدين . أورست ، أنت أخى الأكبر ورب أسرتنا ، فضمنى إلى صدرك واحمنى ، لأننا مقبلان على آلام جسام .

(أورست يأخذها بين ذراعيه . جوبيتر يخرج من مخبئه) .

(ويغادر المكان فى خطوات الذئب) .

(ستار) .

اللوحة الثانية

(فى القصر ، قاعة العرش . تمثال لجوبيتر ملطخ بالدماء مخيف . النهار يؤذن بالمغيب) .

المشهد الأول

(إيلكترا تدخل أولا وتشير إلى أورست بالدخول)

أورست : أسمع وقع أقدام مقبلة !

إيلكترا : هؤلاء العسس يقومون بالحراسة ، إتبعنى سنختبئ هنا:

(يختفيان خلف العرش)

المشهد الثانى

(نفس الأشخاص — مختبئين — جنديان)

الجندى الأول : لا أدرى ما بال الذباب اليوم : لقد جن جنونه .

الجندى الثانى : إنه يشم رائحة الموتى ، وذلك يغمره بالبشر . إنى أخشى أن أتثاءب مخافة أن يندفع فى فمى الفاغر ، ويروح يلعب الطاحون فى أقصى الحلقوم . (إيلكترا تطل لحظة ثم تختفى) . آه ، سمعت حركة .

الجندى الأول : إنه أجا ممنون يجلس على عرشه .

الجندى الثانى : أو تظن أنه أناخ بأليتيه العريضين على ألواح المقعد ، فجعلاه يصر ؟ هذا محال يا حضرة الزميل ، لأن الموتى لا وزن لهم .

الجندى الأول : إنما هم حثالة القوم الذين لاوزن لهم . أما أجاممنون ، ففضلا عن كونه ميتا ملكيا ، فقد كان ملكا مرحا . يزن فى المتوسط مائة أقة ، فليس من العسير أن يكون قد بقى له منها ولو بضعة أرطال .

الجندى الثانى : أتعتقد إذن أنه هنا ؟

الجندى الأول : وأين تريد أن يكون ؟ والله لو كنت ملكا ، وأتيحت لى إجازة سنوية قدرها أربع وعشرون ساعة ، لما توانيت دقيقة فى الذهاب إلى عرشى أجلس عليه ، وأقضى يومى فى استعادة ذكرياتى الماضية الحلوة دون أن أفكر فى إيذاء الناس .

الجندى الثانى : إنما تقول ذلك لأنك حى . ولو كنت من الأموات ، لكان لك من الشرور قدر ما للآخرين .

(الجندى الأول يصفعه) . حاسب ! حاسب !

الجندى الأول : إنما فعلته لصلاحك ، فبصفعة واحدة قتلت سبعا ، قطيعا بأكمله .

الجندى الثانى : من الموتى ؟

الجندى الأول : من الذباب يا حضرة المغفل . وها هى ذى راحتى مليئة بالدم . (يمسح يده فى سراويله) . ذباب ملعون .

الجندى الثانى : أهلكه الله فى بطون أمهاته . ألا ترى هؤلاء الموتى الذين بيننا ، ولا واحد منهم ينبس ببنت شفة ؟ بل يرتبون أمورهم فى سكون دون أن يقلقوا أحدا أو أن يقلقهم أحد . ولا ريب أن هذا شأن الذباب إذا مات .

الجندى الأول : أعوذ بالله . أما لو رمينا بأشباح الذباب من فوق الصفقة !

الجندى الثانى : ولم لا ؟

الجندى الأول : أتدرى معنى ما تقول ؟ تصور ، يا أخانا ، أن هذه الحشرات تنفق كل يوم بالملايين . فإذا أطلق فى المدينة كل ما نفق منها منذ الصيف الماضى فحسب لكان لدينا الآن ثلثمائة وستون وخمس ذبابات ، ميتة بعدد كل واحدة حية . أف ! إذن لصار الهواء معجونا بالذباب ، ولطعمنا ذبابا وتنفسنا ذبابا ، ولنزل الذباب فى رئاتنا وبطوننا كالسيل الدافق . اسمع ، ألا يكون هذا هو سبب الروائح الغريبة التى تفوح فى تلك القاعة ؟

الجندى الثانى : إن قاعة لا تبلغ مساحتها ألف قدم مربع يكفيها بضعة من موتى البشر لإفساد هوائها . يقال إن موتانا لهم نفس كريه .

الجندى الأول : اسمع ، هؤلاء الإخوان إنما يأكل بعضهم دم بعض .

الجندى الأول : قلت لك إن هنا شيئا ما : لأن أرض القاعة تصر .

(يذهبان للنظر خلف العرش من الناحية اليمنى ، أورست وإيلكترا يخرجان من الناحية اليسرى

ويمران أمام العرش ثم يزحفان إلى مخبئهما من الناحية اليمنى فى اللحظة التى يخرج فيها الجنديان من الناحية اليسرى) .

الجندى الأول : ليس هناك ديار ولا نافخ ناركما ترى . قلت لك إنه أجا ممنون ، أجا ممنون الخبيث ! لابد أنه متربع على هذه الطنافس (مستقيما كالألف) يحدجنا بنظراته ، فليس لديه ما يشغل به نهاره غير النظر إلينا .

الجندى الثانى : إذن من الخير أن نعتدل فى وقفتنا، حتى ولو نخر الذباب أنفينا .

الجندى الأول : أنا لا أكتمك أنى كنت أفضل أن أكون فى ثكنة الحرس ، أشارك الآخرين فى لعبة مسلية ، لأن الموتى الذين يحومون فيها كلهم من الإخوان ، نكرات بسطاء مثلنا . ولكنى كلما فكرت فى أن المغفور له الملك الراحل حاضر بيننا ، وأنه أمامنا يعد الأزرة الناقصة من جاكتتينا ، اعترانى إحساس غريب ، كما لو كان اللواء يستعرضنا.

(يدخل إيجست – كليتمنستر – وبعض الخدم يحملون المصابيح) .

إيجست : لنترك وحدنا .

المشهد الثالث

(إيجست – كليتمنستر – أورست وإيلكترا « مختبئين ») .

كليتمنستر : ماذا بك ؟

إيجست : ألم ترى بعينيك . فلو لم ألق الرعب فى قلوبهم، لتخلصوا من ندمهم فى طرفة عين .

كليتمنستر : أهذا مصدر قلقك ؟ فى وسعك أن تكبح جماحهم متى شئت .

إيجست : هذا جائز . فلا أحد أمهر منى فى لعب هذه المهازل . (هنيهة) . إنى آسف على أن اضطررت إلى عقاب إيلكترا .

كليتمنستر : لأنها ابنتى ؟ لقد طاب لك أن تعاقبها ، وكل ماصدر منك حسن فى عينى .

إيجست : ليس من أجلك ما أسفت ، أيتها المرأة .

كليتمنستر : لماذا إذن ؟ وأنت لا تحب إيلكترا .

إيجست : لقد سئمت . فهذى خمسة عشر عاما تنقضى

وأنا أطوق بذراعى شعبا كاملا لأمسكه على الندم .
هذه خمسة عشر عاما تنقضى وأنا ألعب دور الشاخص الذى يخوَّف به الطير : وهذه المسوح السود قد نضحت على نفسى.

كليتمنستر : ولكن يا مولاى ، ألست أنا الأخرى ...

إيجست : أعرف ما تقولين أيتها المرأة . تريدين أن تحدثينى عن ندمك . أجل ، أعرف ذلك وأغبطك عليه ، لأنه يعمر حياتك . أما أنا ، وإن خلوت منه ، فليس فى أرجوس كلها مخلوق أشد منى حزنا .

كليتمنستر : مولاى الحبيب ...
: (تدنو منه) .

إيجست : تنحى عنى أيتها الفاجرة . ألا تستحين وأنت نصب عينيه .

كليتمنستر : نصب عينيه ؟ منذا الذى يرانا ؟

إيجست : الملك . لقد أطلق سراح الموتى فى هذا الصباح.

كليتمنستر : عفوك يا مولاى . الموتى تحت الأرض مقرهم . وليس فى وسعهم أن يضايقونا إلا بعد عمر طويل

أنسيت أنك خالق هذه الأساطير وفارضها على الشعب ؟

إيجست : الحق ما قلت أيتها المرأة . وبعد ؟ ألا ترين مبلغ سأمي ؟ دعيني ، فإني أريد أن أثوب إلى نفسي .

(كليتمنستر تخرج)

المشهد الرابع

(إيجست ـ أورست وإيلكترا (مختبئين) .

إيجست : أهذا، يا جوبيتر، هو الملك الذى أردته لأرجوس؟ ها أنذا أغدو وأروح ، وأعرف كيف أصيح بصوت طنان رنان ، أطوف بهيئتى المخيفة فى كل مكان ، فلا يلمحنى أحد إلا شعر بأنه آثم إلى أخمص قدمه . ولكن ما أنا إلا قوقعة خالية ، جاءت دابة فنخرت باطنى على غير إدراك منى. والآن أنظر إلى نفسى فأرانى أوغل فى الموت من أجاممنون . أقلت بأنى حزين ؟ إذن لقد كذبت على نفسى . فإن الصحراء لا تكون حزينة ، ولا جزلة ، بل هى العدم الذى لا تحصى رماله تحت عدم السماء الجلى : إنها الشؤم الموحش . آه كم وددت لو أعطى كل مملكتى ثمنا لدمعة أذرفها !

(يدخل جوبيتر) .

المشهد الخامس

(نفس الأشخاص . جوبيتر) .

جوبيتر : أجل ، أشلك حالك ، فأنت ملك ككل الملوك .

إيجست : من أنت ؟ وما جئت تصنع عندى ؟

جوبيتر : ألا تعرفنى ؟

إيجست : اخرج من هنا ، وإلا أمرت حراسى بإهانتك .

جوبيتر : ألا تعرفنى ؟ ومع ذلك فقد رأيتنى من قبل . كان ذلك فى المنام . ولكن الرهبة كانت تتجلى فى وجهى بأوضح مما ترانى الآ ن . (رعد وبرق . إ جوبيتر يتخذ سيماه الرهيبة) . أهكذا ؟

إيجست : جوبيتر !

جوبيتر : ها نحن قد تعارفنا . (يعود إلى ابتسامه .يدنو من التمثال) . أهذا أنا ؟ ؟ وفى هذه الهيئة يرانى أهل أرجوس،عندما يبتهلون إلى الصلاة ؟ إن هذا لغريب . من النادر أن يتأتى لإله أن ينظر فى صورته وجها لوجه .(هنيهة) . ما أقبح خلقى ! لا غرو أنهم لا يهيمون بحبى .

إيجست : إنهم يخافونك .

جوبيتر : ذلك كل ما أبغى. ماذا يعود علىّ من حبهم إياى؟ وأنت ، أتحبنى ؟

إيجست : ماذا تريد منى ؟ ألم أدفع الثمن الكافى ؟

جوبيتر : لا يبلغ إنسان حد الكفاية قط .

إيجست : ألا ترى العبء يقصم ظهرى ؟

جوبيتر : لا تسرف على نفسك ! فأنت فى صحة لا بأس بها ، مكتظ بالدسم ، ولا ملام عليك فى ذلك ؛ دسم ارستقراطى من النوع الجيد ، ضارب إلى الصفرة كشحم الشمعة ، وذلك ماينبغى. فحياتك، وهذه حال صحتك ، تستطيع أن يمتد بها الأمد عشرين سنة أخرى .

إيجست : عشرين سنة أخرى !

جوبيتر : أتتمنى الموت ؟

إيجست : نعم .

جوبيتر : لو دخل عليك إنسان شاهراً سيفه ، أفتكشف لهذا السيف عن صدرك ؟

إيجست : لا أدرى .

جوبيتر : أنصت إلى وتدبر قولى : إذا أسلمت عنقك للذبح كما يفعل العجل ، كان عقابك مضرب الأمثال فى الصرامة . إذ يقضى عليك بأن تكون ملكاً فى الجحيم طول الأبد . وهذا ما جئت لتحذيرك إياه .

إيجست : أيبغى قتلى إنسان ؟

جوبيتر : على ما يظهر .

إيجست : أهى إيلكترا ؟

جوبيتر : ومعها آخر .

إيجست : من ؟

جوبيتر : أورست .

إيجست : آه ! (هنيهة .) تلك طبيعة الأمور ، فما عساى أن أفعل ؟

جوبيتر : «ما عساى أن أفعل !» (مغيراً من نغمته .) مر فى الحال بأن يقبض على شاب غريب يدعو نفسه فيليب ، وأن يرمى به وبإيلكترا فى حفرة عميقة . وقد أذنت لك بأن تنساهما فيها . هيا ! ماذا تنتظر ؟ ادع الحراس .

إيجست : كلا .

جوبيتر : هل تتفضل وتفيدني بأسباب رفضك ؟

إيجست : لقد سئمت .

جوبيتر : لماذا تحول بصرك إلى قدميك ؟ أدر إلىّ عينيك الضخمتين المشبحتين بالدم . هنا ! هنا ! أنت كالحصان فيك نبل وفيك غباء . ولكن عنادك لا يفزعني ، لأنه كالبهار يزيد في لذة خضوعك الذي أراه قريباً . فإنك ستنتهي بالتسليم لا محالة .

إيجست : أخبرتك بأني لا أريد التورط في خططك . فقد أسرفت في الانقياد إليك .

جوبيتر : تذرع بالشجاعة وقاوم ! قاوم ! آه ! إن نهمي إلى مثل روحك لشديد . ها أنت تقذف بالشرر من عينيك ، وتجمع قبضتيك ، وتلقي في وجه جوبيتر برفضك . ومع ذلك فاعلم ، أيها الخفيف الرأس ، أيها الحصان البسيط ، أيها الحصان الصغير البليد ، إن قلبك قد أجابني بنعم منذ أمد بعيد . هيا ، عجل بالطاعة . أتظن أني أنزل من الأولمب دون باعث ؟ إنما أردت تحذيرك من هذه الجناية التي يطيب لي إحباطها .

إيجست : تحذيري ... ! إن هذا لغريب .

جوبيتر : وأية غرابة فيه ؟ أريد أن أبعد عن رأسك ذلك الخطر ؟

إيجست : ومن دعاك إلى ذلك ؟ وأجا ممنون ، هل حذرته ؟ ومع ذلك فقد كان حريصاً على الحياة .

جوبيتر : أيتها الجبلة الجاحدة . أيها الخلق الشقى : أنت أعز على من أجا ممنون . ها أنذا أقدم لك البرهان ، وأنت تتذمر وتشكو حالك .

إيجست : أعز عليك من أجا ممنون ؟ إن عزيزك هو أورست . لقد هان عليك ضلالى ، فتركتنى أعدو إلى حوض الملك لا ألوى على شيء والفأس بيدى — ولعلك كنت فى هذه اللحظة تلحس شفتيك مستمرئا للذة النفس المجرمة . وها أنت ذا اليوم تحمى أورست من نفسه . ها أنت ذا ، بعد أن أغريتنى بقتل الأب ، تريد أن تسخرلى لإمساك ذراع الإبن . فلست أصلح فى عينيك إلا للغيلة . ولكن عفوا فلعل لك فى أورست مآرب أخرى .

جوبيتر : ما أغرب هذا الحسد ! ليطمئن قلبك ، فحبى لأورست لا يفضل حبى لك . إنى لا أحب أحداً ..

إيجست : إذن ، فانظر ما صنعت بى أيها الإله الجائر :
إذا كنت تحول اليوم بين أورست وبين الجريمة
التى بيتها ، فلماذا أجزت جريمتى ؟ أجبنى !

جوبيتر : ليست كل الجرائم لدى سواء . إيجست ، كلانا
ملك ، فدعنى أتحدث إليك بصراحة . الجريمة
الأولى ، أنا الذى ارتكبتها لما خلقت الإنسان
وسجلت عليه الفناء . فماذا بقى لكم أنتم يا معشر
القتلة ؟ أن تنفذوا حكم الموت فى ضحاياكم ؟
رويدك ! رويدك ! إن هؤلاء الضحايا يحملون
فى أنفسهم براعم الموت . وأقصى ما فى وسعكم
هو أن تعجلوا قليلا بتفتحها . أتدرى ما كان
يحل بأجا ممنون لو لم تجهز عليه ؟ كان يموت
بنزيف المخ بعد ثلاثة أشهر على صدر جارية
حسناء . ولكن جريمتك قد أسدت إلى معروفا .

إيجست : قد أسدت إليك معروفاً ؟ أكفر عنها منذ خمسة
عشر عاماً ، وأنت الذى جنيت ثمارها ؟ يا
للتعاسة !

جوبيتر : وهل فى ذلك عجب ؟ ما أسديت إلى معروفاً
إلا لأنك تكفر عنها . لأنى لا أحب من الجرائم

إلا ما يدفع ثمنه ؛ وقد أحببت جريمتك بوجه خاص ، لأنها كانت جريمة عمياء صماء ، جاهلة بنفسها ، عتيقة ، أشبه بكوارث الطبيعة منها بعمل الإنسان . إنك لم تعارض مشيئتي لحظة واحدة : بل طعنت في نشوة من الهياج والخوف . فلما ذهبت عنك الحمى ، رحت تتأمل فعلتك بشيء من الارتياع ، ولم ترد قط أن تعترف بها . ومع ذلك فقد أفدت منها ربحاً عظيما ، فهاهم أولاء عشرين ألفاً من البشر غارقين في الندم ، يكفرون عن موت رجل واحد ، تلك هي النتيجة . فترى أني لم أعقد صفقة خاسرة .

إيجست : الآن أدرك ما ينطوي في ثنايا هذه الخطب : أورست لن يعتريه الندم .

جوبيتر : ولا ظل منه . فهو في هذه الساعة يتناول خططه على نهج موضوع ، مطمئن الخاطر متواضعاً . ومالي ولاغتيال لا يجر ندماً على صاحبه ، اغتيال وقح ، اغتيال وديع خفيف كالبخار في روح القاتل ! لابد أن أحول بينه وبين ما بيت ! آه ، إني لأكره خطايا هذا الجيل الجديد . إنها خطايا جاحدة عقيمة كالزؤان . هذا الشاب الوديع

سيقتلك كما ، تقتل الدجاجة ، ثم يخرج أحمر اليدين نقى الضمير — فلو كنت مكانك لاعترانى الخزى . هيا وادع إليك حراسك !

إيجست : قلت لك أن لا . إن نفسى لتهتز طرباً لهذه الجريمة المبيتة ، لا لشىء آخر إلا لأنها تشق عليك .

جوبيتر : (وقد تغيرت نغمته .) ، أنت ملك ، وإلى ضميرك الملكى أوجه كلامى . لأنك تحب الملك .

إيجست : وبعد ؟

جوبيتر : أعرف أنك تبغضنى ، ولكنا قريبان ؛ فقد برأتك على صورتى : الملك إله فى الأرض ، نبيل مشئوم كالإله .

إيجست : مشئوم ؟ أنت ؟

جوبيتر : أدر نظرك إلى . (سكوت طويل .) قلت لك إنك مصنوع على مثالى : كلانا يسعى إلى أن يسود النظام . أنت فى أرجوس ، وأنا فى العالم . والسر الذى يوقر قلبى هو عين السر الذى يوقر قلبك .

إيجست : ما لدى من سر .

جوبيتر : بلى . عين ما لدى . سر الآلهة والملوك الأليم . ذلك أن الناس أحرار . أحرار يا إيجست . أنت تعلم ، وهم لا يعلمون .

إيجست : وايم الحق لو علموا، لأشعلوا النار فى أركان قصرى الأربعة . هذه خمسة عشر عاماً تنقضى، وأنا أمثل أمامهم المهزلة ، لأحجب قدرتهم عن أعينهم .

جوبيتر : ألا ترى أننا سواء ؟

إيجست : سواء ؟ بأى سخرية يدعى إله أنه وإياى سواء ؟ منذ أن ملكت، وكل أعمالى وكل كلماتى لا وجهة لها إلا تصوير صورتى ؛ أريد من كل واحد من رعاياى أن يحملها فى نفسه وأن يحس ، حتى فى وحدته ، نظراتى القاسية تنوء بأخفى أفكاره . ولكنى كنت أول الضحايا ، فأصبحت لا أرانى إلا كما يروننى ، وأطل على البئر الفاغرة التى تكن أرواحهم ، وأرى صورتى فى أقصى القاع ، فتقززنى بقدر ما تأخذ بلبى . أيها الإله القدير ، قل لى من أنا ، هل أكون إلا هذا الرعب الذى فى قلوب الآخرين منى ؟

جوبيتر : وأنا ، من تظن إذن أن أكون ؟ (مشيراً إلى التمثال .) إن لى صورتى أنا الآخر، أتظن أن منظرها لا يصيبنى بالدوار ؟ منذ مائة ألف عام وأنا أرقص أمام البشر . رقصاً بطيئاً قاتماً .

وينبغى ألا يصرفوا أنظارهم عنى ، فما دامت أبصارهم شاخصة إلى وهم منصرفون عن النظر فى أنفسهم . أما إن غفلت عن نفسى طرفة عين ، أما إن تركت بصرهم يتحول ....

إيجست : وبعد ؟

جوبيتر : دع هذا ، فذلك لا يعنى سواى . إنك قد سئمت يا إيجست ، ولكن علام تشكو ؟ وإنما إلى الموت مصيرك . أما أنا فحى لا أموت . وما دام فوق الأرض إنسان واحد ، وأنا مقضى على بأن أرقص أمامه .

إيجست : وا أسفاه ! ولكن من الذى قضى علينا ؟

جوبيتر : لا أحد غيرنا ، لأن الشهوة التى تحرك قلبينا واحدة . أنت مولع بالنظام يا إيجست .

إيجست : النظام ! أجل ، هذا حق . من أجل النظام أغريت كليتمنستر ، ومن أجل النظام قتلت مليكى . أردت أن يسود النظام ، وأن تكون على يدى إقامته . فعشت خلواً من الرغبة ، خلواً من الحب ، خلوا من الأمل : لأنى احترفت النظام . آه أيتها الشهوة الإلهية الرهيبة !

جوبيتر : لم يكن لنا إلى سواها من سبيل . أنا إله وأنت إنما ولدت لتكون ملكاً .

إيجست : وا أسفاه !

جوبيتر : إيجست ، يا مخلوقى ويا أخى الفانى ، باسم هذا النظام الذى نحن سدنته ، أمرتك بما هو آت : أن تقبض على أورست وعلى أخته .

إيجست : هل بلغ خطرهما هذا الحد ؟

جوبيتر : أورست يعلم أنه حر .

إيجست : (منفعلا .) ، يعلم أنه حر ! إذن لا يكفى أن يكبل بالأغلال ، لأن الرجل الحر فى المدينة ، كالشاة الجرباء فى القطيع ، جدير بأن ينشر عدواه فى مملكتى ،وأن يهدم ما بنيت. أيها الإله القادر ، ما الذى يمنعك أن تصعقه ؟

جوبيتر : (ببطء .) ، أن أصعقه ؟ (هنيهة . متعباً مقوس الظهر .) إن للآلهة سراً آخر يا إيجست ...

إيجست : ماذا تريد أن تقول ؟

جوبيتر : إن الحرية ،إذا تفجرت فى روح إنسان ،لم تستطع الآلهة شيئاً ضد هذا الإنسان . وإنما على غيره من بنى البشر أن يتركوه يجول ويصول ، أو أن يخنقوه .

إيجست : (ناظراً إليه .) ، أن يخنقوه ؟ ... حسن جداً .
ربما أطعت أمرك . ولكن لاتضف حرفاً ، ولا تبق
هنا دقيقة واحدة ، لأنى لن أطيق منك ذلك .

(جوبيتر يخرج .)

المشهد السادس

(إيجست يبقى وحده لحظة، ثم إيلكترا وأورست.)

إيلكترا : (وهى تندفع نحو الباب) اطعنه . لا تتح له فرصة الصياح ، سأحكم إغلاق الباب .

إيجست : أهو أنت ، يا أورست ؟

أورست : ادفع عن نفسك .

إيجست : لن أدفع عن نفسى ، فقدت فات أوان الاستغاثة ، وإنى لسعيد أن فات أوانها . لن أدفع عن نفسى ، لأنى أريد أن تبوء بإثمى .

أورست : حسن جداً . لست أبالى بالوسيلة ، فلأدع إذن من أهل الغيلة .

(يطعنه بسيفه .)

إيجست : (مترنحاً .) ، لم تخطىء مرماك . (متعلقاً بأورست) دعنى أتأملك . أفى الحق أنك معصوم من الندم ؟

أورست : الندم ؟ ولماذا هذا الندم ؟ إنما صنعت ما هو عدل .

إيجست : العدل ما رأى جوبيتر . ولقد كنت مختبئاً هنا وسمعت ما قال .

أورست : ما بال جوبيتر وبالى ؟ العدالة من شئون البشر ، ولست فى حاجة إلى إله ليلقننى ذلك . العدل أن تسحق أيها الداعر ، والعدل تخليص أهل أرجوس من سلطانك ، والعدل أن يُرد إليهم شعورهم بالكرامة .

(يدفعه عنه .)

إيجست : أوه ! أشعر بالألم .

إيلكترا : ها هو ذا شاحب الوجه . يا للهول ! ما أقبح إنساناً يموت !

أورست : كفى عن الكلام . ولا يحملن إلى قبره إلا ذكرى ابتهاجنا .

إيجست : بوءا باللعنة كلاكما .

أورست : ألن ينتهى بك الحال إذن إلى الموت ؟

(يطعنه طعنة أخرى . إيجست يسقط .)

إيجست : حذار من الذباب يا أورست ، حذار من الذباب ، فإن ساعة الختام لم تدق بعد .

أورست : (يدفعه بقدمه .) ، على كل حال قد دقت بنهايته . قودينى إلى مخدع الملكة .

إيلكترا : أورست ...

أورست : نعم ؟

إيلكترا : لم يبق فى طوقها الآن أن تسيء إلينا .

أورست : لم أعد أعرفك ، فما كنت تتكلمين هكذا منذ قليل .

إيلكترا : وأنا أيضاً لم أعد أعرفك ، يا أورست .

أورست : حسن ، سأذهب وحدى .

(يخرج .)

المشهد السابع

(إيلكترا .)

إيلكترا : (وحدها .) ، أتراها ستستغيث ؟ (هنيهة ، ترهف آذانها .) ها هو ذا يسير فى الممر ، وعندما يفتح رابع الأبواب ... آه ! أنا التى أردت ذلك ، ولا أزال أريده ، ويجب أن أستمر فى إرادته ، (تتأمل إيجست .) أما هذا فقد مات . ذلك إذن ما كنت أريد ، دون أن أكون على تمام البينة مما أريد . (تدنو منه .) لقد رأيته مائة مرة فى المنام مجندلا فى هذا المكان ، والسيف غائر فى قلبه . كان مغمض العينين ، عليه سيما النيام . لشد ما بغضته ، وكم كنت قريرة العين ببغضه . ولكن ليست عليه سيما النيام ، وعيناه مفتوحتان ، وكأنه ينظر إلى . لقد مات ، ومات بموته بغضى ؛ وها أنذا أترقب ، والأخرى لا تزال حية فى غرفتها ؛ وبعد قليل ستصيح مستغيثة ، سوف تستجير كالدابة . آه ! لم يبق لى طوق أن أحتمل هذه النظرة . (تحبو على ركبتيها

وتطرح معطفاً على وجه إيجست .) ماذا كنت أريد إذن ؟ (سكوت ثم صياح من كليتمنستر .) لقد طعنها ، إنها أمنا وقد طعنها (تنهض .) هكذا : فقد مات عدواى ، بعد أن استمتعت سنين طوالا بلذة هذا الموت قبل وقوعه . والآن هذا قلبي مقبوضاً فى وثاق ضيق ؛ أترى هل كذبت على نفسى طوال خمسة عشر عاماً ؟ هذا غير صحيح ؛ بل لا يمكن أن يكون صحيحاً . ما بى من جبن . وقد أردت هذه الساعة وأريدها أيضاً . أردت أن أرى هذا الخنزير الشرير ، ممدداً تحت قدمى . (تنزع المعطف .) ما معنى هذه النظرة التى تشبه نظرة السمكة الميتة ؟ هذه النظرة أيضاً قد أردتها وإنى لسعيدة بها . (صياح من كليتمنستر أخفت من الأول .) فلتصح ما شاءت ! فلتصح ! أريد أن تصيح فزعاً وألماً (الصياح يكف .) أيها السرور ! أيها الحبور ! عيناى تبكيان من فرط السرور : مات عدواى وانتقم لأبى .

(يدخل أورست وبيده سيف ملطخ بالدماء . تعدو نحوه .)

المشهد الثامن

(إيلكترا ــ أورست .)

إيلكترا : أورست !

أورست : مما تخافين ؟

إيلكترا : لست خائفة ولكنى ثملة ، ثملة من فرط السرور . أطالما استجارت فى عفوك ؟

أورست : إيلكترا ، لقد فعلت ما فعلت ولن أندم عليه ولكن لا أرى من الخير الكلام فيه . فمن الذكريات ما لا يحرص الإنسان على الاحتفاظ بها . اعلمى فقط أنها قد ماتت .

إيلكترا : وهل ماتت تلعننا ؟ قل لى ذلك فحسب . هل ماتت تلعننا ؟

أورست : نعم ، ماتت تلعننا .

إيلكترا : خذنى بين ذراعيك ، يا شقيقى الحبيب ، وضمنى إلى صدرك بكل قواك ، ما أكثف ظلام الليل ، وما أشق على هذه المشاعل أن تخترق حجابه ! أتحبنى ؟

أورست : لقد ولى الليل ، وهذا مطلع الفجر . نحن حران يا إيلكترا . يلوح لى أنى وهبتك الميلاد وأنى لم أولد إلا معك ، إنى أحبك وأنت لى . بالأمس كنت وحيداً واليوم أنت لى . لقد ضاعف الدم توثيق عرانا ، لأننا من دم واحد وقد أرقنا دماً .

إيلكترا : اطرح هذا السيف واعطنى هذه اليد . (تتناول يده وتقبلها .) أصابعك قصيرة ومربعة . إنها لم تصنع إلا للأخذ والإمساك . يا لك من يد عزيزة ! إنها أنصع من يدى بياضاً . وكم تحملت من ثقل لتطعن قاتلى أبينا ! (تذهب فتحضر مشعلا وتدنو من أورست .) يجب أن أضىء وجهك لأن ظلمة الليل قد اشتدت فلا أراك بوضوح ، وإنى فى حاجة إلى أن أراك . لأنى إذا لم أرك اعترانى منك الخوف . فيجب ألا تحيد عنك عيناى . إنى أحبك ، ويجب أن أفكر دائماً فى أنى أحبك . ما أغرب مظهرك !

أورست : إنى حر يا إيلكترا . انقضَّت علىَّ الحرية انقضاض الصاعقة .

إيلكترا : حر ؟ أما أنا فلا أشعر بأنى حرة . هل فى وسعك أن ترجع ما قد كان وكأن لم يكن ؟ لقد كان

ما كان ، ولسنا حرين فى رده . أتستطيع أن
تمحو عنا ما لصق بنا إلى الأبد من قتل أمنا ؟

أورست : أتظنين أنى أريد محوه ؟ لقد فعلت فعلى يا إيلكترا ، وهو فعل حسن سأحمله على كاهلى كما يحمل المسافرين عابرُ الماء ، وسأعبر به إلى الشط الآخر لأقدم عنه الحساب . وكلما ثقل على حمله قرت به عيناى ، لأنه هو حريتى ، وحريتى ليست شيئاً سواه . بالأمس فقط كنت أهيم على وجهى تزجينى الصدفة المحضة . وكانت آلاف الطرق تفر من تحت قدمى ، لأنها ملك لغيرى . استعرتها جميعاً : من طريق ساحبى السفن ، تلك الطريق التى تسير محاذية للنهر ، إلى طريق البغالين ، إلى الطريق المرصوفة ، طريق سائقى المركبات . ولكن لم تكن لى واحدة من بينها . واليوم ليس أمامى إلا طريق واحدة ، لا يعلم غايتها إلا الله ، ولكنها طريقى . ماذا بك ؟

إيلكترا : لم أعد أراك ، لأن هذه المصابيح لا تضىء . أسمع صوتك فيؤذينى ويحز فىّ حز السكين . ترى أتظل الدنيا على ظلامها هذا حتى فى النهار ؟

أورست ! لقد أتى !

أورست : من ؟

إيلكترا : ها هو ذا الآن ! فمن أين أقبل ؟ إنه يتدلى من السقف كعناقيد العنب الأسود ، وهو الذى يغشى الحوائط بالسواد ، وهو الذى يحول بين النور وبين عينى ، ولا شىء يحجب عنى محياك إلا ظلاله .

أورست : الذباب ......

إيلكترا : أنصت ! ... أنصت إلى طنين أجنحته الذى يشبه أزيز الكير . إنه يحاصرنا يا أورست ويترصدنا ، وبعد قليل سيهبط علينا ، فأشعر بآلاف الأقدام اللزجة تزحف على بدنى . أين المفر يا أورست ؟ ها هو ذا يطن ويطن ، ها هو ذا بدينا فى حجم النحل ، ها هو يتتبعنا سحباً كثيفة فى كل مكان . يا للهول ! ها أنذى أرى عيونه ، أرى الملايين من عيونه تحدجنا .

أورست : وما شأننا والذباب ؟

إيلكترا : إنه الإيرّنيات يا أورست ، إلهآت الندم .

أصوات من خلف الباب : افتحا ! افتحا ! إذا لم يفتحا وجب أن ننسف الباب نسفاً .

(طرقات صامتة فوق الباب .)

أورست : إن صياح كليتمنستر قد نبه الحراس . تعالى فقودينى إلى محراب أبو للون ، نقضى فيه ليلتنا فى مأمن من الناس ومن الذباب . وغداً سأخاطب شعبى .

(ستار)

الفصل الثالث

المشهد الأول

(معبد أبو للون . نور الغلس . تمثال أبو للون فى وسط المسرح . إيلكترا وأورست ينامان تحت قدمى التمثال ويلفان ذراعيهما حول ساقيه . الإيرنيات يحطن بهما فى شكل دائرة ، وينمن واقفات كأنهن قطيع من مالك الحزين . فى أقصى المسرح باب ثقيل من البرنز .)

الإيرنية الأولى: هاهاها ! لقد نمت واقفة مستوية فى مكانى من أثر الغضب وحلمت أحلاماً هائلة مثيرة . يا زهرة الغضب الهائج الجميلة ، أيتها الزهرة الحمراء فى قلبى ! (تدور حول أورست وإيلكترا .) إنهما نائمان ، ما أنصع بياضهما وما أعذبهما ! لأنهالن على بطنيهما وصدريهما كما ينهال السيل على الحصى ، ولأصقلن هذا اللحم المرهف فى صبر وأناة ، ولأدقنه دقا ،

ولأقشرنه قشرا ، ولأبيدنّه حتى العظام (تخطو بضع خطوات .) يا صباح البغض الصافى ! ما أروع هذه اليقظة ؛ ها هما ينامان، يندّى العرق جسميهما وتفوح منهما رائحة لحمى ؛ أما أنا فيقظة نشطة صلبة ، روحى من حديد – وأحس فى نفسى القداسة .

إيلكترا : فى غفلة النوم : وا أسفاه !

الإيرنية الأولى: ها هى ذى تئن . صبراً ، فستعرفين آلام نهشنا ، وستعولين تحت مداعبة مخالبنا . لأدخلن فيك دخول الذكر فى الأنثى ، لأنك امرأتى وستشعرين بثقل حبى . أنت جميلة يا إيلكترا ، أنفذ منى جمالا . ولكنك سترين قبلاتى تذهب بشبابك قبل ستة أشهر ، سأحنى ظهرك كالعجوز ، وسأظل على شبابى . (تنحنى عليهما .) إنهما فريسة أشرفت على التلف وحان أكلها . أنظر إليهما فأنشق أنفاسهما والغضب يخنقنى . إيه يا لذة صباح أشعر فيه بفورة البغضاء ! إيه يا لذة صباح أشعر فيه بأنى براثن وأضراس ! إيه يا أيتها النار السارية فى الشرايين . البغضاء تغمرنى حتى تكاد تخنق أنفاسى ، وتصّاعد فى

أثدائى كلبن المرضع . استيقظن يا أخواتى ، استيقظن ، فهذا نور الصباح قد بدا .

الإيرنية الثانية : رأيت فى المنام أنى أنشب أضراسى .

الإيرنية الأولى: صبراً . إنهما الآن فى كنف إله ، ولن يلبث السغب والطوى أن يخرجا بهما من ملاذهما . وعندئذ تنشبين كل أضراسك .

الإيرنية الثالثة : هاهاها ! أريد أن أنشب مخالبى .

الإيرنية الأولى: تأنى لحظة . وبعد قليل ستخط أظفارك آلافا مؤلفة من حمر الطرائق فى جسمى الآثمين . اقتربن يا أخواتى ، تعالين فمتعن أنظاركن برؤيتهما .

إحدى الإيرنيات : ما أغض شبابهما !

إيرنية أخرى : ما أروع جمالهما !

الإيرنية الأولى: لتقر بهما أعينكن . فمن كثير الكثير أن يكون المجرمون من بين الكهول والقباح . ومن نادر النادر أن تتهيأ لنا تلك المتعة الشهية ، متعة هدم الجميل .

الإيرنيات : هى باه هى يا هاه .

الإيرنية الثالثة : أورست يكاد يكون طفلا . سيمتزج بغضى له بحنان الأمومة . ولذا فسآخذ رأسه الشاحب الوجه

على ركبتى وأمسح على شعره .

الإيرنية الأولى: ثم ؟

الإيرنية الثالثة : ثم أغور بأصبعى هاتين فى عينيه دفعة واحدة .

(يأخذن جميعا فى الضحك) .

الإيرنية الأولى: ها هما يتنهدان ويتحركان ، فقد أوشكا على الاستيقاظ . فهيا يا أخواتى ، هيا يا أخواتى من أمة الذباب . ولننتزع الآثمين من أحضان النوم بغنائنا .

الأيرنيات : (جماعة) بز ، بز ، بز .

سنتهافت على قلبك الفاسد كما يتهافت الذباب
على قطعة الحلوى .
أيها القلب المتعفن . أيها القلب الملطخ بالدماء ،
أيها القلب الشهى .
سنمتص قيح قلبك وصديده ، كما يمتص النحل
رحيق الأزهار .
وسترى كيف نحيله إلى شهد إلى شهد جميل
أخضر لاشىء فى الوجود يفعم قلوبنا بالحب أكثر
من البغيضة . بز ، بز ، بز ، بز .
سنكون أعين المنازل النافذة .
وزمجرة الكلب العقور يكشف عن أنيابه لدى

عبورك ،
والطنين الذى يحوم فى السماء من فوق رأسك .
وحفيف الغابات .
سنكون الصغير ، سنكون النقيق ، سنكون النعيب ،
سنكون النعيق .
سنكون الليل الحالك ،
ليل روحك الكئيب.

بز ، بز ، بز ، بز
نحن ماصات الصديد ، نحن الذباب ،
نحن الأولى يشاطرنك كل شيء .
ننتزع الشعاع من فمك ، والنور من أعماق عينيك.
ونلازمك حتى عتبة القبر .
ولن نتخلى لمكاننا فيك إلا للدود .

بز ، بز ، بز ، بز .

إيلكترا : من أنتن ؟ من المتكلم ؟
الإيرنيات : بز ، بز ، بز .

(يرقصن)

إيلكترا : آه ، أهؤلاء أنتن ؟ وبعد ؟ أقتلناهما إذن حقا ؟

أورست : (مستيقظا) . إيلكترا !

إيلكترا : من أنت ؟ أنت أورست ! قمم عنى .

أورست : ماذا بك ؟

ايلكترا : أنت تخيفنى . رأيت أمنا فى المنام تسقط على الأرض منكبة على وجهها ، وقد راح الدم يسيل منها جداول تحت أبواب القصر قاطبة . ضع يدك على راحتى تجدهما باردتين . كلا ، لاتمسنى . دعنى ، هل سال الدم منها بغزارة ؟

أورست : بل دعى هذا الكلام .

إيلكترا : (وقد استيقظت تماما) . دعنى أنظر إليك : قتلتهما . أنت الذى قتلتهما وها أنت ذا أمامى قد استيقظت . فلاأرى شيئا مكتوبا على وجهك ، ومع ذلك فأنت الذى قد قتلتهما .

أورست : ثم ماذا ؟ نعم ، أنا الذى قتلتهما ! (دهنيهة) . وأنت أيضا تخيفنيني . فقد كنت بالأمس بارعة الجمال ، واليوم يخيل إلى كأن دابة أتلفت وجهك بأظفارها .

إيلكترا : دابة ؟ بل هى جريمتك . إنها تنهش خدى وتنزع جفنى حتى ليخيل إلى أن عينى وأضراسى أصبحت

عاربة . وهؤلاء ؟ من هن ؟

أورست : لا تفكرى فيهن . ولن يستطعن لك ضرا .

الإيرنية الأولى: فلتأت وسطنا ، إذا كانت على شىء من الجرأة ، وسترى إذا كنا لا نستطيع لها ضرا .

أورست : سلام يا إناث الكلاب . إلى مأواكن ! (الإيرنيات يزمجرن) . أمن الممكن أن تكونى أنت تلك الفتاة التى رأيتها بالأمس ترقص على سلم المعبد فى ثوبها الأبيض ؟

إيلكترا : لقد هرمت . فى ليلة واحدة .

أورست : مازلت جميلة ، ولكن ... أين رأيت هاتين العينين الميتتين من قبل ؟ إليكترا ، إنك تشتهينها تشتهين كليتمنستر أكان قتلها إذن يستحق العناء ؟ لا ألمح جريمتى فى هاتين العينين حتى يمتلىء قلبى رعبا .

الإيرنية الأولى: ذلك لأنك أيضا تملأ قلبها رعبا .

أورست : أهذا حق ؟ أمن الحق أنى أملأ قلبك رعبا ؟

إيلكترا : دعنى .

الإيرنية الأولى: وبعد ؟ أيعتريك الآن ريب ؟ كيف تريد ألا تبغضك ؟ وقد كانت تحيا من قبل وادعة فى أحلامها ، فجئت تحمل إليها شر الكبائر :

الاغتيال والكفر . وها هى ذى لاصقة بهذه القاعدة تشاطرك جريرتك ، وهى الرقعة الوحيدة من الأرض التى بقيت لها .

أورست : لا تصغى إلى ما تقول .

الإيرنية الأولى: إلى الوراء ! إلى الوراء ! اطرديه يا إيلكترا . لا تدعيه يلمس يدك . إنه لجزار تفوح منه رائحة رائحة الدم التفهة . أما خرقه فى قتل الشيخة ، فلا تسألى عنه . فإنه لم يجهز عليها إلا بعد طعنات وطعنات.

إيلكترا : ألست تكذبين ؟

الإيرنية الأولى: لك أن تصدقينى طيبة النفس ، إذ كنت هنالك أطن من حولهما .

إيلكترا : هل كرر طعنها ؟

الإيرنية الأولى: عشر مرات على الأقل . وفى كل مرة كان السيف يغور فى الجرح محدثا هذا الصوت « كرك » . وبيديها كانت تقى وجهها وبطنها ، فقضم منها اليدين .

إيلكترا : هل طال عذابها ؟ ألم تمت من فورها ؟

أورست : غضى عنهن عينيك ، وأرتجى أذنيك ، وحذار حذار أن تسأليهن ؛ فإن حتفك فى سؤالهن .

الإيرنية الأولى: لقد تعذبت عذابا أليما .

إيلكترا : (ساترة وجهها بكلتا يديها) : ها .

أورست : إنها تبغى أن تفرق بيننا ، فتقيم حولك أسوارا من العزلة . فخذى حذرك ، لأنك إن أصبحت دون صاحب ولا ملتجأ انقضضن عليك كالصاعقة . لقد بيتنا هذا الاغتيال معا يا إيلكترا ، فلنحمل عواقبه معا .

إيلكترا : أتزعم أنى أردته؟

أورست : أليس هذا حقا؟

إيلكترا : كلا . هذا غير حق ... أنصت .. بلى .. آه أصبحت لا أدرى . لقد حلمت بهذه الجريمة ولكنك أنت الذى ارتكبتها يا جلاد أمه .

الإيرنيات : (ضاحكات صائحات) : يا جلاد ! يا جلاد ! يا جزار !

أورست : إن الناس من خلف هذا الباب يا إيلكترا . الناس والصباح . وفى خارج هذا المكان تشرق الشمس على الطرقات العديدة . وبعد قليل سنخرج ونسير فى هذه الطرق المشمسة ، وسترين حينئذ أن بنات الليل هؤلاء ، قد فقدن قدرتهن . لأن أشعة الشمس كالحسام تفلق هامهن .

ايلكترا : الشمس ...

الإيرنية الأولى: لن ترى الشمس منذ اليوم يا إيلكترا . بل سنعترض كسحابة من الجراد بينها وبين عينيك : وأنى ذهبت ستحملين الليل فوق رأسك .

إليكتر : اتركنى ، اكففن عن تعذيبى .

أورست : إن سر قوتهن فى ضعفك . ألا ترين كيف لا ينبسن إلى بكلمة ؟ ثم انظرى ترى نوعا من الهول لا مثيل له قد انقض عليك ففرق بيننا . ومع ذلك فإنك ما بليت بشىء لم أبل أنا به .. أتظنين أن أنين أمى سيغيب صداه عن أذنى يوما من الأيام ؟ وعيناها الواسعتان ، هذان البحران الخاويان وقد استقرا فى وجه من الجير ، أتظنين أن خيالهما سيفارق عينى ؟ وهذا الضيق الذى يلتهمك ، أتظنين أنه سيكف يوما عن نخرى ؟ ولكنى لا أبالى بشىء من هذا إنى حر ، حر رغم القلق والذكريات ، ومتفق مع نفسى . فيجب على نفسك ألا تبغض نفسك يا إيلكترا . أعطينى يدك ، ولن أهجرك أبد الآبدين .

إيلكترا : دع يدى ! هذه الكلاب السوداء من حولى تفزعنى ، ولكنها أهون منك هولا وإفزاعا .

الإيرنية الأولى: ألا ترى ! ألا ترى ! إنك تفزعها أكثر مما يفزعها . أنت فى حاجة إلينا يا إيلكترا ، وأنت ابنتنا . أنت فى حاجة إلى أظفارنا لنهش لحمك ، أنت فى حاجة إلى أنيابنا لتمزيق صدرك ، أنت فى حاجة إلى حبنا لصرفك عن البغض الذى فيك تحملين ، أنت فى حاجة إلى الألم فى جسمك لتنسى آلام نفسك . تعالى ! تعالى الم يبق أمامك إلا خطوتان ، تهبطينهما لنلقاك بين ذراعينا ، فتمزق قبلاتنا أديمك الرقيق ، وهنا يخيم النسيان ، النسيان أمام نار العذاب الحامية الصافية .

الإيرنيات : تعالى ! تعالى !

(يرقصن ببطء شديد كما لو كن يردن تخديرها . إيلكترا تنهض) .

أورست : (ممسكا بذراعها) : أتوسل إليك ألا تستسلمى إليهن ، فإن فى الاستسلام ضياعك .

إيلكترا : (متخلصة منه بعنف) : ها ! إننى أبغضك .

(تنزل من السلم فتنقض عليها الإيرنيات بعنف) .

إيلكترا : واغوثاه !

(يدخل جوبيتر)

المشهد الثانى

(نفس الأشخاص – جوبيتر)

جوبيتر : إلى حظير تكن !

الإيرنية الأولى: المولى !

(الإيرنيات يتفرقن آسفات تاركات إيلكترا ممددة على الأرض) .

جوبيتر : مسكينان أيها الطفلان. (يتقدم نحو إيلكترا .)أهذه هى الحال التى صرتما إليها ؟ إن الرحمة والغضب ليتنازعان قلبى . انهضى ، يا ايلكترا . فمادمت فى هذا المكان فليس لكلابى عليك من سلطان . (يعينها على النهوض) . يا لشناعة وجهك ! ليلة واحدة ! ليلة واحدة فقط !أين تلك النضارة الريفية ؟ ليلة واحدة كانت كافية لأن تبلى منك الكبد والرئتين والطحال . وأن تحيل جسمك إلى كومة كبيرة من البؤس . آه أيها الشاب الأخرق ، ما أبلغ إسرافك فى التنكيل بنفسك !

أورست : أيها الرجل الساذج ، دع عنك هذه النغمة ، فإنها لا تليق بملك الآلهة .

جوبيتر : وأنت أيضا ، دع هذه النغمة المزهوة ؛ فإنها لا تليق بجارم يكفر عن جرمه .

أورست : لست جارما ، ولن تنجح فى حملى على التكفير عن أمر لا أعتبره جرما .

جوبيتر : لعلك مخدوع ، ولكن صبرا ، فلن يطول بك الغى .

أورست : صب على ما شئت من صوب عذابك . فلن أندم على شيء .

جوبيتر : ولا على هذا الهوان الذى ألبسته أختك من وراء فعلتك ؟

أورست : ولا على هذا .

جوبيتر : أسمعت يا إيلكترا ؟ هذا هو الذى يتشدق بحبك .

أورست : إننى أحبها أكثر من نفسى . ولكن آلامها تنبعث من ذات نفسها ! فهى وحدها التى تستطيع التخلص منها : إنها حرة .

جوبيتر : وأنت ؟ لعلك ، أنت الآخر ، تتوهم أنك حر ؟

أورست : وأنت أول العارفين .

جوبيتر : انظر إلى أيها المخلوق الغبى الجاهل : فى الحق أنك تسرف فى الصلف ، وأنت خانع بين قدمى إله

جبار تعينه زبانية من هذه الكلاب الجوعى التى
تحاصرك . إن كنت تزعم أنك حر ، إذن لوجب
إطراء حرية السجين يرزح تحت أغلاله فى عقر
محبسه الضيق ، وحرية العبد المصلوب.

أورست : ولم لا ؟

جوبيتر : حذار حذار : إنك تكابر وأنت فى حماية أبوللون . وليس أبوللون إلا خادمى المطيع ، تكفيه إشارة واحدة من أصبعى ليتخلى عنك .

أورست : وما يثنيك أن تشير بأصبعك ، بل بكل ذراعك ؟

جوبيتر : وما جدوى ذلك ؟ ألم أقل لك إنى أشمئز من العقاب؟ إنما جئتكما مخلِّصاً .

إيلكترا : مخلصا ؟ دع الهزل يارب الانتقام والموت . إذ لا يجوز لأحد ، ولو كان إلها ، أن يسخر ممن يألمون فيخدعهم بسرابه .

جوبيتر : بعد ربع ساعة لك ، أن تخرجى من هنا .

إيلكترا : سليمة معافاة ؟

جوبيتر : أعطيك كلمتى .

إيلكترا : وماذا تطلب إلىّ من ثمن ؟

جوبيتر : لا شيء يا بنيتى .

إيلكترا : لاشيء ؟ أيها الإله الرحيم ، أيها الإله المعبود ، ألم

تخدعنى أذناى فيما سمعت ؟

جوبيتر : لا شيء . لاشيء إلا ما تستطيعين بذله فى يسر. قليل من الندم .

أورست : حذار ، يا إيلكترا . إن هذا الشيء اليسير التافه تنوء به نفسك كأنه الجبل .

جوبيتر : لا تصغى إليه . فأولى بك أن تجيبينى . كيف لا تطيب نفسك بإنكار هذه الجريمة ، وغيرك هو الذى جناها ؟ بل ليس لأحد أن يتهمك بالمشاركة فيها إلا تجاوزا .

أورست : إيلكترا ، أتنكرين خمسة عشر عاما من البغض والأمل ؟

جوبيتر : ومن الذى تكلم فى إنكار هذا ؟ لكنها لم ترد هذه الفعلة الشنعاء .

إيلكترا : وا أسفاه !

جوبيتر : هيا ، أولينى ثقتك . ألست عليما بذات الصدور؟

إيلكترا : (غير مصدقة) : أو تقرأ فى صدرى أنى لم أرد هذه الجريمة بعد ما حلمت بالغيلة والانتقام خمسة خمسة عشر حولا مجرّما ؟

جوبيتر : هذه الأحلام الدامية التى كانت تشنف سمعك وتروق نظرك ، لم تكن إلا نوعا من الطهارة

تخفف من عبوديتك ، وتضمد جراح كبريائك : ولكنك لم تحلمي بتحقيقها يوما من الأيام .أترينني مخطئاً ؟

إيلكترا : آه يا إلهي ! يا إلهي الحبيب ! أتمنى ألا تكون مخطئا .

جوبيتر : أنت فتاة صغيرة يا إيلكترا . وغيرك من صغار الفتيات يتمنين أن يصبحن أجمل النساء وأغناهن . أما أنت ، وقد فتنت بمقدور أسلافك الرهيب ، فقد كانت أعز مناك أن تكوني أشقى الآلمين وأقسى الجارمين . لم تريدى شرا قط ، وإنما أردت شقاء نفسك . فى سنك تلعب البنات بالعرائس أو يثبن بالحبل . أما أنت ، ياصغيرتى المسكينة ، فكنت بلا لعب ولا صواحب ؛ فلعبت بالقتل لأنه لعبة يستطيع المرء أن يقوم بها منفردا .

إيلكترا : وا أسفاه ! وا أسفاه ! كلما سمعت كلامك ، نفذ بصرى إلى أعماق نفسى .

أورست : إيلكترا ! أى إيلكترا ! الآن أنت جارمة . أما عن نيتك ، فمن سواك فى الوجود يستطيع أن يعرفها ؟ أتتركين لغيرك أن يحكم بما بيتت نفسك؟

لماذا تشوهين ماضيا لم يبق فى طوقه أن يدافع عن نفسه ؟ لماذا تنكرين إيلكترا الثائرة التى عرفتها من قبل، إيلكترا إلهة البغض التى همت بحبها؟ أفلا ترين أن هذا الإله القاسى يلعب بعقلك ؟

جوبيتر : ألعب بعقليكما . أنا ؛ أولى بكما أن تصغيا إلى ما أقترح عليكما : إذا برئتما من جرمكما ، أجلستكما معا على عرش أرجوس .

أورست : على عرش ضحيتينا ؟

جوبيتر : ذلك مالابد منه .

أورست : وعلى أن ألبس ثياب الملك الراحل ، ولما تزل دافئة ؟

جوبيتر : تلك أوغيرها . كل هذا لاوزن له .

أورست : أجل ، مادامت سوداء . أليس كذلك ؟

جوبيتر : ألست فى حداد ؟

أورست : فى حداد على أمى . هذا الأمر كان قد غاب عن بالى .ورعاياى ، أأكرههم أيضا على لبس السواد ؟

جوبيتر : إنهم يلبسونه من قبلك .

أورست : هذا حق . فلندع لهم من الوقت ما يمكنهم من إبلاء ملابسهم القديمة . وبعد ؟ أفهمت يا إيلكترا ؟ إذا

أذرفت قليلا من الدموع ، قدمت إليك ثياب كليتمنستر وأقمصتها ، تلك الأقمصة النجسة المنتنة التى دأبت على غسلها بيديك خمسة عشر عاما طوالا . كذلك دورها فى انتظارك ، وما عليك إلا أن تقومى بتمثيله . وبهذا تصل المهزلة إلى كمال حالها ، ويظن الناس قاطبة أنهم يرون أمك ، ولا سيما أنك آخذة فى مشابهتها . أما أنا فقد بلغ التقزز من نفسى أبعد من هذا الحد : لذلك سأعفى من لبس سراويل هذا المهرج الذى قتلته .

جوبيتر : إنك لترفع الرأس عاليا : وإن قتلت إلا رجلا أعزل لم يدافع عن نفسه ، وعجوزاً تستجير فى عفوك . إن إنسانا سمع كلامك دون أن يعرف خبرك لجدير بأن يؤمن أنك نجيت مسقط رأسك ، بعد أن غلبت ثلاثين شخصا بمفردك .

أورست : لعلى قد نجيت مسقط رأسى بحق .

جوبيتر : أنت ؟ أتعلم ماذا يختبىء وراء الباب ؟ أهل أرجوس ، كل أهل أرجوس ، ينتظرون مخلصهم مسلحين بالأحجار والفئوس والهراوى ، ليبرهنوا له على مقدار عرفانهم . وأنت الآن وحدك ، كالأبرص .

أورست : نعم :

جوبيتر : اذهب ولا تصغر خدك صلفا . فقد طرحوك جميعا في وحدة الهول والهوان ، أنت يا أجبن القتلة .

أورست : أجبن القتلة من يتسرب الندم إلى نفسه .

جوبيتر : أورست ! أنا الذى خلقتك وأنا خالق كل شيء ، فانظر : (حوائط المعبد تنشق . ترى السماء وفيها كواكب تدور جوبيتر فى قاع المسرح . صوته يتجهم –ميكروفون – ولكنه لا يميز إلا بصعوبة.) انظر إلى هذه الكواكب التى تدور بنظام دون أن يرتطم واحد منها بالآخر : وأنا الذى رتبت سيرها بالقسطاس . اسمع توافق الأفلاك ، ذلك النشيد العريض الرنان الذى يتردد صداه فى أركان السماء الأربعة ، وكله لطف وكله نعمة (ميلودرام) بقدرتى تتكاثر الأنواع ، وقد أمرت ألا يلد الإنسان غير إنسان ، ولا ينتج الكلب إلا كلبا ؛ وبكلمتى يزحف لسان المد الندى حتى يلحس الرمال وبعد قليل ينحسر إلى أجل معلوم . أنا الذى وهبت الزرع نعمة النماء ، وأرسلت نفسى حول الأرض يحمل سحب اللقاح الصفراء . أنت فى غير دارك ، أيها الدخيل ، أنت فى هذا

العالم كالوشيظة فى الجلد ، كالصالد فى غابة مولاه : لأن العالم طيب العنصر : بإرادتى خلقته وأنا الخير ، أما أنت فقد بؤت بفعل الشر ؛ وكل شىء يتهمك بصوته المتحجر : الخير فى كل مكان ، فهو رحيق الشجر وبرودة البئر ، وثقل الصخر ، وكل حبة من حبات الصوان : إنك لتجده حتى فى طبيعة النار والنور ، بل إن بدنك ليشى بك لأنه يتبع ناموسى : الخير فيك وفى ماحولك : ينفذ فيك كالمنجل ، ويسحقك كالجبل ، يحملك ويدور بك كالبحر ؛ وهو الذى كلل شر مسعاك بالنجاح ، لأنه كان لك نور الشمعة ، وصلابة السيف ، وقوة الساعد. وهذا الشر الذى أنت به فخور ، وتزعم أنك صاحبه ليس إلا وجها من وحدة الكينونة ، إلا هذا الهارب الزائف ، إلا شبحا خداعا ، لا وجود له دون سنادة من الخير . ادخل فى نفسك من جديد ، يا أورست : فالكون يشهد عليك بالخطأ ، وما أنت فى هذا الكون إلا بعوضة . دخل فى أحضان الطبيعة من جديد ، أيها الولد العاق : اعترف بخطئك ، مجه مجا ، انزعه من نفسك كما

تُنزع سن فاسدة قد نخرها السوس. وإلا فاخش أن ينحسر البحر من أمامك ، وأن تغيض الآبار فى سبيلك ، وأن تميد الصخور هاربة من طريقك ، وأن تفتت الأرض من تحت قدميك .

أورست : فلتتفتت الأرض ، ولتصب على الصخور لعناتها . وليذبل النبات لدى عبورى : فكل كونك لا يكفى لأن يقنعنى بالخطأ . أنت ملك الآلهة يا جوبيتر ، وملك الصخور والكواكب ، وملك الأمواج فى كل البحار . ولكن لست ملك الإنسان .

(الحوائط تتلاقى من جديد ، يظهر جوبيتر مكدودا (مقوس الظهر ، وقد استرد صوته الطبيعى .)

جوبيتر : لست مليكك ، أنت ، أيتها الدودة الخالية من كل فطنة . ولكن من ذا الذى خلقك ؟

أورست : أنت . ولكن كان يجب ألا تخلقنى حرا .

جوبيتر : إنما وهبتك الحرية لخدمتى .

أورست : هذا جائز ، ولكنها انقلبت ضدك ، ولا حيلة لى ولا لك فى ذلك .

جوبيتر : وأخيراً ! هذا هو عذرك .

أورست : لست معتذرا .

جوبيتر : أهذا حق ؟ أتعرف أن هذه الحرية التى تزعم أنك عبد لها تشبه كل الشبه أن تكون اعتذارا ؟

أورست : لست السيد ولا العبد. وإنما أنا حريتى ، لم تكد تخلقنى حتى خرجت من نطاق سلطانك.

إيلكترا : أستحلفك بأبينا ، يا أورست ، ألا تجمع بين الكفر والجريمة.

جوبيتر : أصغ إليها ، وشيع كل أمل فى ردها إلى براهينك : فهذه اللغة جديدة على أذنيها. وجارحة لها.

أورست : وعلى أذنىّ أيضا يا جوبيتر ، وعلى حنجرتى التى تدفع الكلمات ، وعلى لسانى الذى يشكلها لدى العبور. وإنه ليشق على نفسى أن تفهم نفسى. بالأمس فقط كنت حجابا على عينى وسداداً من الشمع فى أذنى ، بالأمس فقط كان لى عذر وكنت أنت عذرى فى الوجود ، لأنك طرحت بى إلى العالم لأخدم نواياك ، وكان العالم وسيطة شمطاء تحدثنى عنك دون انقطاع. وقد هجرتنى.

جوبيتر : أهجرتك ، أنا ؟

أورست : بالأمس كنت بجانب إيلكترا : وكل طبيعتك قد تراكمت حولى ، وكانت هذه العروس الساحرة تغنى خيرك وتغدق إلى النصائح ، ورقّ لى هذا

النهار القائظ حتى صار إلى جلاوة ، كالنظرة تواريت برقيق الحجاب ، لإغرائي بالدماثة ، وعذبت السماء عذوبة الغفران لتعلمني نسيان الذنوب ، ونهضت شبيبتي الخاضعة لأمرك أمام عيني متوسلة كالعروس أوذنت بالهجران : وهنالك رأيت شبيبتي للمرة الأخيرة . ولكن الحرية لم تمهلني حتى انقضت علي ، فارتعدت من هو لها فرائصي . وعندئذ قفزت الطبيعة إلى الوراء. واختفت مني كل علائم السن ، وأحسست الوحدة في عالمك الصغير التّـفيه كشخص فقد ظله ، وأما السماء فلم يبق فيها خير ولاشر ولا أحد أأتمر بأمره .

جوبيتر : وبعد ؟ أينبغي أن أصفق عجبا بالشاة التي فرق الجرب بينها وبين القطيع أو للأبرص المحجور في محجره ؟ اذكر ، يا أورست : أنك كنت وحدة من قطيعي ، ترعى العشب في حقلي وبين نعاجي . وليست حريتك إلا جربا يرعى جلدك ، إلا منفى تحيط بك أسواره .

أورست : صدقت ، إنها المنفى .

جوبيتر : لم يبلغ الشر منك هذا الحد من العمق . فماهوإلا

ابن الأمس . فتعال معنا ؛ عد إلينا : تدبر أمر وحدتك وأن شقيقتك نفسها قد قضت بهجرك. أنت شاحب الوجه ، والضيق يمدد من عينيك ، فهل لك من أمل فى آن تحيا ؟ ها أنت ذا وقد نخرك شر لا إنسانية فيه . أنت غريب على الطبيعة، غريب على نفسك . فتعال : إننى الغفران ، وإننى الطمأنينة .

أورست : أعرف أنى غريب على نفسى ، خارج عن الطبيعة ، بل خارج على الطبيعة ، لا عذر لى ، ولاملجأ لى إلا إلىّ . ولكنى لن أعود تحت قانونك . فقد قضى على ألا أخضع لغير قانونى . ولن أعود إلى طبيعتك : ففيها ألف طريق معبدة وكلها تؤدى إليك . ولكنى لن أسير فى غير طريقى . ذلك أنى إنسان يا جوبيتر ، وعلى كل إنسان أن يخترع طريقه ، الطبيعة ترهب الإنسان ، وأنت ، يا عاهل الآلهة ، أنت أيضاً تفرق خوفاً من بنى الإنسان .

جوبيتر : إنك لا تكذب ، لأنى أبغضهم إذا أشبهوك .

أورست : خذ حذرك ، لأنك قد سجلت على نفسك الاعتراف بضعفك . أما أنا ، فإنى لا أبغضك .

فماذا كان منك إلى ؟ نحن تنزلق أحدنا ضدالآخر دون أن نتماس ، كسفينتين . وأنت إله وأنا حر : كلانا وحيد ، وكلانا فى الضيق سواء . ومنذا الذى أخبرك بأنى لم أفتش عن الندم خلال تلك الليلة الطويلة ؟ ولكنى لن أذوق الندم منذ اليوم . ولا النوم .

(سكوت) .

جوبيتر : وماذا تنتوى أن تعمل ؟

أورست : أناس أرجوس هم أناسى ، فيجب على أن أفتح أعينهم .

جوبيتر : مساكين هؤلاء الناس ! ستهدى إليهم العار والوحدة .وستنزع عنهم ذلك اللباس الذىأسدلت عليهم ، وتكشف لهم على غير انتظار منهم عن وجودهم ، ذلك الوجود التفه البذىء الذى أغدق عليهم بالمجان .

أورست : ولماذا أضن عليهم باليأس الذى فى نفسى ، مادام اليأس نصيبهم فى هذه الدنيا ؟

جوبيتر : ماذا يصنعون به ؟

أورست : فليصنعوا به ما شاءوا ؛ إن الحياة الإنسانية لا تبدأ

إلا فى الشط الآخر من اليأس .

(سكوت) .

جوبيتر : أجل ، ياأورست . كل ذلك كان مقدوراً ، محتوم الوقوع . كان مقضيا أن يظهر إنسان ، فيعلن أفولى ، أهو أنت إذن ؟ من كان يقول ذلك بالأمس لدى رؤية محياك الذى يشبه محيا العذارى؟

أورست : وهل كان يهجس لى ذلك فى خاطر ؟ إن هذه الكلمات التى أفوه بها يضيق بضخامتها فمى ، فتمزقه تمزيقا ؛ وهذه الرسالة التى أضطلع بحملها ينوء بها شبابى ، فتقصمه .

جوبيتر : لست أحبك ياأورست ، ومع ذلك ، فإنى أرثى لحالك .

أورست : وأنا أيضاً أرثى لحالك .

جوبيتر : وداعا ياأورست . (يخطو بضع خطوات .) أما أنت يا إيلكترا فتدبرى هذه الحقيقة : إن حكمى لم ينته بعد ، إذ لابد لزواله من جهاد وجهاد ، وليس فى عزمى أن ألقى السلاح . فانظرى إذا كنت لى أم علىّ . وداعا .

أورست : وداعا .

(جوبيتر يخرج) .

المشهد الثالث

(نفس الأشخاص ماعدا جوبيتر .)

(إيلكترا تنهض ببطء) .

أورست : أين تذهبين ؟

إيلكترا : دعني ، فليس عندي ما أقو له لك .

أورست : أقد قضي علي ، وما عرفتك إلا منذ الأمس ، بأن أفقدك إلى الأبد ؟

إيلكترا : كم كنت أتمنى لولم تقدر لي الآلهة معرفتك .

أورست : إيلكترا ، يا شقيقتي . إيلكترا ، يا عزيزتي ! يا حبي الذي لا حب لي سواه . أنت عذوبة حياتي التي ليس بعدها عذوبة . فلا تتركيني وحدي . ابقي معي .

إيلكترا : أيها اللص ! لم تكن يدي تملك غير قليل من الهدوء وبعض الأحلام ، فسلبتني كل هذا مستبيحاً لنفسك أن تسرق امرأة فقيرة . كنت أخي ورب أسرتنا ، فكان عليك أن تحميني : ولكنك غمرتني في الدم ، وها أنذي حمراء

كالثور المساوخ : وها هو ذا الذباب بأسره يلاحقنى ، هذا النهم ، وقد أصبح قلبى خلية شنعاء !

أورست : حبيبتى ، فى الحق أنى سلبتك كل ما كان لديك وليس لدى ما أعطيك ، اللهم إلا جريمتى ، وهى هدية ثقيلة أتظنين أن روحى لا تنــوء بهــا كالرصاص ؟ لقد كنا خفيفين يا إيلكترا : والآن تغوص فى الأرض أقدامنا ، كما تغوص عجلات العربة فى طريق ماثث موحول . تعالى ، فلننطلق سائرين فى خطوات وئيدة ، مقوسى الظهر تحت حملنا الثقيل . هيا ، مدى إلى يدك ولنذهب ...

إيلكترا : إلى أين ؟

أورست : لا أدرى ؛ نحو أنفسنا . فهنالك ، فيما وراء الأنهار والجبال ، أورست آخر وإيلكترا أخرى فى انتظارنا . فلنبحث عنهما متذرعين بالصبر.

إيلكترا : لا أريد الآن أن أصغى إليك ؛ فإنك لا تجر على إلا التعاسة ، ولا تقدم لى إلا الاشمئزاز (تقفز على المسرح . الإيرنيات يقتربن ببطء) . واغوثاه يا جوبيتر ، يا مليك الآلهة والناس ، يا مليكى ، خذنى بين ذراعيك ، احمنى . وسأتبع قانونك ،

وأكون أمتك ، بل متاعك ، سأقبل قدميك وأطراف ثوبك . ادفع عنى شر الذباب وشر أخى وشر نفسى : لا تذرنى وحدى ، وسأكرس كل حياتى للتكفير ، إنى نادمة يا جوبيتر . إنى نادمة .

(تخرج عدوا) .

المشهد الرابع

(أورست . الإيرنيات .)

(الإيرنيات يهممن باللحاق بإيلكترا . فتوقفهن الإيرنية الأولى .)

الإيرنية الأولى: دعنها يا أخواتى ، فإنها قد أفلتت من قبضتنا ولكن بقى لنا هذا الشاب ، وسيبقى لنا زمناً طويلا ، على ما أظن ، لأن روحه الصغيرة من نحاس وسيتألم لشخصين .

(الإيرنيات يأخذن فى الطنين ، ويدنون من أورست .)

أورست : إننى وحدى .

الإيرنية الأولى: كلا كلا ، يا أظرف القتلة ، إنى معك : وسترى ما أبتكر لتسليتك من ألاعيب .

أورست : حتى الممات سأظل وحدى . وبعد ...

الإيرنية الأولى: تذرعن بالشجاعة يا أخواتى ، فقد بدأ الوهن يدب إليه . انظرن ، إن عينيه تتسعان . وبعد قليل

ستصلصل أعصابه كأوتار القانون تحت إيقاع
تتهى من الإرهاب .

الإيرنية الثانية : بعد قليل يطرده الجوع من مكمنه : وسنذوق
طعم دمه قبل هذا المساء .

أورست : مسكينة إيلكترا !

(يدخل المربى .)

المشهد الخامس

(أورست – الإيرنيات – المربى .)

المربى : يا لها من حال يا مولاى ، أين أنت ؟ يا لها من ظلمات بعضها فوق بعض . لقد أحضرت إليك بعض الطعام : لأن أهل أرجوس يحاصرون المعبد ، فلا تؤمل فى الخروج : وسنحاول الفرار ، إذا ماجن الليل . أما الآن فخذ هذا الطعام ، وكل . (الإيرنيات يقطعن عليه الطريق .) ومن هؤلاء ؟ إنها هى الأخرى خرافات . كم آسف على بلاد الأتيك الحلوة ، حيث كان رأيى دائماً هو الرأى .

أورست : لا تحاول أن تدنو منى ، وإلا مزقتك حيا .

المربى : مهلا يا جميلاتى : خذن هذا اللحم وهذه الفاكهة ، ولعل قربانى هذا يخفف من غيظكن .

أورست : أتقول إن أهل أرجوس مجتمعون أمام المعبد ؟

المربى : نعم ، ولكن ليس فى وسعى أن أخبرك من أشد عليك خطراً وأحرص على إيذائك ، أ.ؤلاء

الفتيات الجميلات أم رعاياك الأعزاء .

أورست : حسن جداً . (هنيهة .) افتح الباب .

المربي : أتراك قد جننت ؟ إنهم خلفه مدججين بالسلاح .

أورست : أمرتك فافعل .

المربي : أسمح لنفسي هذه المرة بعصيانك ، لأني إذا فتحت لهم الباب رجموك .

أورست : أنا سيدك أيها الشيخ . وقد أمرتك بفتح الباب .

(المربي يوارب الباب).

المربي : أوه ! مالهم ! مالهم ! مالهم قد غلى مرجل غيظهم !

أورست : على مصراعيه .

(المربي يفتح ويختفي خلف أحد المصراعين . الجمهور يدفع المصراعين بعنف ، ويتوقف مبهوتاً على عتبة الباب . نور خاطف).

المشهد السادس

(نفس الأشخاص – الجمهور .)

صياح من الجمهور : مزقوه ! لابد من موته ! لابد من موته ! مزقوه ! ارجموه ! لابد من موته !

أورست : (دون أن يسمعهم .) ، الشمس !

الجمهور : أيها الكافر ! أيها القاتل ! أيها الجزار ! ستقطع إربا . سيصب الرصاص المذاب فى جراحك !

امرأة : سأسمل عينيه .

رجل : سآكل كبده !

أورست : (معتدلا) ، ها أنتم ، ها أنتم أولاء يا رعاياى الأوفياء ؟ أنا أورست ملككم وابن أجا ممنون ، وهذا يوم تتويجى .

(الجمهور يزمجر مبلبل الخواطر .)

هلا تصيحون ؟ (الجمهور يصمت .) أعرف أنى ألقى الرعب فى قلوبكم . منذ خمسة عشر عاماً معدودة وقف أمامكم قاتل آخر وقد غطى

بديه حتى المرفقين بقفاز قانى الحمرة ، بقفاز من دم ، فلم تخافوه ؛ لأنكم قرأتم فى عينيه أنه منكم ، وأنه خلو من شجاعة أفعاله . وإن جريمة لا يقوى صاحبها على الاضطلاع بحملها ليست جريمة إنسان ، أليس كذلك ؟ بل هى أقرب إلى الحادث العارض . استقبلتم الجانى ملكاً عليكم ، وراحت الجريمة العتيقة تحوم بين جدر المدينة ، وتئن أنيناً خفيفاً كأنين الكلب فقد مولاه . والآن ها أنتم أولاء أمامى تلتهمنى أبصاركم ، وقد فهمتم أن جريمتى هى جريمتى وأنا صاحبها ؛ أصر أمام وجه الشمس على نسبتها إلى ، وهى كنه حياتى ومعدن كبريائى ، وأنكم لا تملكون لى ثواباً ولا عقاباً . ومن ثم كان خوفكم إياى . ومع ذلك فإنى أحبكم أيها الناس ، ولم أرتكب جريمة القتل إلا من أجلكم . من أجلكم أنتم . جئت مطالباً بعرشى فأعرضتم عنى ، لأنى لم أكن من بينكم . أما الآن فأنا واحد منكم ، منكم يا رعاياى ، تجمعنى بكم عروة الدم ، فحق لى أن أكون مليككم . ألقوا على بخطاياكم وبندمكم ، بالضيق الذى يُقض

ليالكم ، وبجريمة إيجست ، وليضطلع بجميعها كاهلى. لا تخشوا موتاكم فإنهم موتاى . وانظروا إلى ذبابكم الوفى ، فها هو ذا قد تخلى عنكم إلى . ولكن لا تخافوا شيئاً ، يا أهل أرجوس : فلن أجلس ، وأنا الملطخ بالدماء ، على عرش ضحيتى : فلقد تقدم به إلى إله ، وأجبته «لا» بملء فمى . أريد أن أكون ملكاً لا أرض له ولا رعايا . وداعاً أيها الناس ، وحاولوا أن تحيوا : فكل ما هنا جديد . وكل شىء قد بدأ منذ اليوم فحسب . وحياتى أيضاً قد بدأت . ويا لها من حياة غريبة . وبعد فلن أطلب إليكم إلا أن تصغوا إلى هذه القصة : فى صيف عام من الأعوام أصيبت مدينة سيروس بالفيران ، هذا الوباء الجارف . فراحت تلتهم كل شىء ، حتى أيقن أهل المدينة أن حينهم قد حان . إلى أن كان يوم طاب صحوه ، وجاء زامر ناى ، فوقف فى قلب المدينة ـ هكذا (ينهض واقفاً على قدميه .) وأخذ يلعب على الناى ، والفيران تتراكم حوله من كل صوب . ثم أخذ يمشى بخطوات واسعة ـ هكذا ،)ينزل من فوق

القاعدة .(صائحاً فى وجوه أهل سيروس :
«افسحوا ! » (الجمهور يفسح .) فرفعت زمر
الفيران رءوسها مترددة كما يفعل الذباب .
انظروا ! انظروا إلى الذباب ! ثم تدفقت فى أثره
الفيران دفعة واحدة . واختفى لاعب الناى ومعه
الفيران ، إلى الأبد . — هكذا .

(يخرج والإيرنيات يندفعن فى أثره معولات).

(ستار .)

فهرس

ظهر في هذه السلسلة

المسرحية	المؤلف	المترجم
١ ـ راس الاخرين	مارسيل ايميه	د. محمد غنيمي هلال
٢ ـ المتوحشة	جان آنوى	د. يحيى سعد
٣ ـ القديسة جون	برناردشو	محمد محبوب
٤ ـ بلدتنا	ثورنتون وايلدر	د. محمد اسماعيل الموافى
٥ ـ الليلة نرتجل والجرة	لويجى بيرندللو	محمد اسماعيل محمد
٦ ـ الاستثناء والقاعدة محاكمة لوكولوس	برتولد برخت	د. عبد الغفار مكاوى
٧ ـ العادلون	البير كامى	بسيم محرم د. ريمون فرانسيس
٨ ـ سبع مسرحيات	يوجين اونيل	د. نعيم عطية
٩ ـ رومولوس العظيم	فريدتش درنمات	انيس منصور
١٠ ـ ليونس ولينا ،فويسك	جورج بوشنر	د. عبد الغفار مكاوى
١١ ـ الشياطين	جورج هوايتنج	محمود محمود
١٢ ـ قطة على نار	تنيسى وليامز	د. محمدسمير عبدالحميد
١٣ ـ مركب بلا صياد	اليخاندرو كاسونا	د. محمود على مكى
١٤ ـ جسر آرتا،الثمن الفادح	جورج ليوتوكا	د. نعيم عطية
١٥ ـ ارض النفاق ((كل شيء في الحديقة))	جايلز كوبر	د. محمد اسماعيل الموافى على احمد محمود
١٦ ـ الحب الحرام ((المدنسة))	بينابنتى	د. عطية هيكل
١٧ ـ مدرسة الازواج سجاناريل	موليير	د. حسن سيد عون
١٨ ـ هنرى الرابع	لويجى بيرندللو	محمد اسماعيل محمد
١٩ ـ بعد السقوط	آرثر ميللر	على شلش
٢٠ ـ الميجور باربارا	برناردشو	احمد النادى
٢١ ـ السيد بونتيلا وتابعه ماتى	برخت	د. عبد الغفار مكاوى

المسرحية	المؤلف	المترجم
٢٢ ـ بيكيت «شرف الله»	جان آنوى	سعد مكاوى
٢٣ ـ فاوست كما اراه	بول فاليرى	عبد العاطى جلال
٢٤ ـ الانسان الآلى او «ا. د. ٢»	كاريل تشابيك	د. طه محمود طه
٢٥ ـ نزوة العاشق الشركاء	جوته	د. مصطفى ماهر
٢٦ ـ هبوط اورفيوس	تنيسى وليامز	د. محمد سمير عبد الحميد
٢٧ ـ زواج فيجارو	بومارشيه	فتوح نشاطى انور فتح الله
٢٨ ـ المستجيرات المستجيرات ابناء هرقل	اشيل يوربيد	د. على حافظ
٢٩ ـ اندروكليز والاسد	برناردشو	محمود صابر عبد الله
٣٠ ـ كاليجولا	البير كامى	على عطية رزق
٣١ ـ فى انتظار اليسار ، استيقظوا وترنموا	اوديتس	محمد انعم غالب
٣٢ ـ التيه «كل فى بيت الله»	دوريس ليسنج	سعد زهران
٣٣ ـ تاج على ميتة	مونترلان	ابو بكر محمد بكر
٣٤ ـ قيصر وكليوباترة	برناردشو	د. اخلاص عزمى
٣٥ ـ عدو البشر	موليير	د. محمد غنيمى هلال
٣٦ ـ خمس مسرحيات طليعية	يوجين يونسكو	شفيق مقار
٣٧ ـ سوء التفاهم	البير كامى	د. ساميه احمد اسعد
٣٨ ـ انترمتزو او «بين بين»	جان جيرودو	حماده ابراهيم
٣٩ ـ مالاتيستا او « عندما تعمى البصيرة »	مونترلان	وحيد النقاش
٤٠ ـ تاسو	جوته	د. عبد الغفار مكاوى
٤١ ـ المجانين	مسرحة كامى	اسماعيل المهدوى
٤٢ ـ الذباب	سارتر	د. محمد القصاص

تحت الطبـــع

المسرحية	المؤلف	المترجم
اندروماك	راسين	د. طه حسين
هيكابى	يوربيدس	د.محمد محمود السلامونى
اوديب الملك اوديب فى كولون انتيجون	سوفوكليس	د.على حافظ
روميو وجوليتا	شكسبير	الشاعر احمد رامى
الحداد يليق بالكترا ثلاثية	اونيل	د.لويس مرقص د.فخرى قسطندى
حسب تقديرك	بيرندللو	محمد اسماعيل محمد
حفلة كوكتيل	ت.س.اليوت	الشاعر صلاح عبدالصبور
لوثر	جون اسبورن	نعيم جاب الله
متعة العيش	وليم ساروريان	محمود محمود
طفل يعود	كازاند زاكيس	د.نعيم عطية
الغوريلا	يوجين اونيل	د.محمد اسماعيل الموافى
روميو وجانيت	جان آنوى	يحيى سعد
انشودة الحب العذبة	ساروريان	د.وليم الميرى
انطونيوس وكليوباترة	وليم شكسبير	د.لويس عوض
بستان الكرز	تشيكوف	نجيب سرور
مدرسة الفضائح	شريدان	حكمت عباس
مياه بابل	جون اردن	فتحى عبدالفتاح
فاوست المنقار	جــوته	د.محمد عوض محمد
ثور الملائكة السيدة ليست للحرق	كريستوفر فراى	شفيق مقار
ليالى الغضب	ارمان سلاكرو	د.انيس فهمى
حافى القدمين فى اثينا	ماكسويل اندرسون	سمير كرم
لعبة القدر	روبرت شروود	اميمة ابو النصر
بجماليــون	برناردشو	جرجس الرشيدى

المسرحية	المؤلف	المترجم
المطالبون بالعرش	ابسن	ميخائيل بشاى
العين بالعين	شكسبير	د. زاخر غبريال
اللعبة الخطرة	نوشتش	د. حسين عبد اللطيف السيد جمال الدين سيد جادالله
الكذاب	كورنى	ميخائيل بشاى
سور الصين	ماكس فريش	سمير التنداوى
الابن المنبوذ	مونترلان	ابو بكر محمد بكر
مجنونة شايو	جيرودو	دولت محمد حسين
مهنة مسز وارين	برناردشو	سعد الدين توفيق
الشيطان الابيض	جون وبستر	د. محمد عواد العسيلى
ليليوم ق	سيجلجاتى ادا	كمال عيــد
فينوس وادونيس	شكسبير ، مسرحة	محمود صابر عبد الله
اغتصاب لوكريس	اندرى اوبى	
ستر العرايا	بيرندللو	فتوح نشاطى
يوريديس	جان آنوى	مصطفى ابراهيم مصطفى
المنافق	موليير	د. محمد عبد الحليم

بحث الترجمة

المسرحية	المؤلف	المترجم
عطيل	شكسبير	د.عبد القادر القط
دون جوان	موليير	يحيى حقى
سائر المسرحيات	موليير	يحيى حقى
سائر المسرحيات	اليونانية	د.على حافظ
سائر المسرحيات	اليونانية	د.محمد محمود السلاموني
جريمة قتل فى كتدرائية	ت.س.اليوت	الشاعر صلاح عبد الصبور
مسرحيتان	هارولد بينتر	د.وداد حماد
الذى أوله عسل	شيلا ديلانى	عبد الله فريد
هاملت	وليم شكسبير	د.شوقى السكرى
سبع مسرحيات	تنيسى وليامز	د.جمال الدين الرمادى
كنز البخيل ، التوأمان	بلاوتوس	د.أحمد ابو زيد
الملك لير	شكسبير	د.محمد اسماعيل الواهى فوزى العنتيل
المليونيرة	برنارد شو	نبيل راغب فرج
ايام بلا نهاية	يوجين اونيل	د.عز الدين اسماعيل
الصاعقة	ديرنمات	د.مصطفى ماهر
ثلاث مسرحيات شعرية	و.ب. ييتس	نبيل حلمى
طائر البحر	تشيكوف	الشاعر عبد الوهاب البياتى
السيميائى	بن جونسون	محمد وفيق حسن
اربع مسرحيات	ادوارد البى	على شلش
البورجوازيون	مكسيم جوركى	د.ابو بكر يوسف حسين
سيزار	مارسيل بانيول	فاطمة على نجيب
منزل القلوب المحطمة	برناردشو	مجد الدين حفنى ناصف
الرهينة فى انتظار الاعدام	براندين بيهان	مصطفى كامل عبد الفتاح
رجل الدولة المتقاعد	ت.س.اليوت	د.عادل سلامة
دوقة ملفى	وبستر	د.السيد محمد بدوى
عيشة الخنازير	جون آردن	د.عبد الحكيم حسان عمر
عين الجماعةالى الفرد	بيتر شيفر	سهير الحارثى

المسرحية	المؤلف	المترجم
رحلة النهار فى الليل	يوجين أونيل	د. محمود شكرى مصطفى
حرب طروادة لن تقوم	جان جيرودو	درية فهمى اسماعيل ليلى عباس الديب
حفلة عيد الميلاد	هارولد بينتر	محمد غنيم
الفتية بملاليم	جون هوايتنج	محمد عبد اللطيف حجازى
جريمة مزدوجة	هارولد بينتر	رؤوف رياض
حلم مؤجل	لورين هانزبرى	زينب صادق نهاد جاد
الموائد المتناثرة	تيرنس راتيجان	عبد المنعم حسن محمد
الوداع الأخير لارمسترونج	جون اردن	ابراهيم الصيرفى
سيد سنتياجو	مونترلان	محمد مواصل عباس د. محمود السباعى
ملك سابق	سارب التال	كمال عيد
الجوع والعطش	يوجين يونسكو	د. سامية احمد اسعد
الليل على المدينة	ماكسويل اندرسون	عايد الرباط
الفشيم العبد	لى روا جونز	ابراهيم منصور سليمان عبد الله
فجأة فى الصيف الماضى الشبح الدفين	تنيسى وليامز	فائق الور
الدوامة	سارتر	د. محمد محمد القصاص
فيدر	راسين	د. محمد محمد القصاص
القبرة	جان آنوى	د. محمد محمد القصاص
ساعة الغداء ومسرحيات اخرى	جون مورتمر	يحيى ابراهيم عبد الدايم
اضطهاد وقتل مارا	بيتر فايس	يسرى خميس
غدا تشرق الشمس المنفى	مونترلان	ابو بكر محمد بكر
روى بلاس	فيكتور هوجو	د. محمد غنيمى هلال

المسرحية	المؤلف	المترجم
ليلة ساهرة من ليالي الربيع	ازيكي خارديل بونشيلا	د. محمد الامين طه
عسكر وحرامية	دوجلاس ستيوارت	عبد الله فاضل فارع
البرج	هال بورلو	د.علي الحديدي
يوم في السنة	آلان سيمور	حسن محمد حسن
المأساة الاسبانية	توماس كيد	محمود علي مراد
هيبوليتس جنون هيرقل	سينيكا	امين سلامة
بلا مأوى	وليم باصط	وجيه الشناوي
صناعة النجوم	كلايف اكستون	وجيه الشناوي
نساء طروادة	سارتر	وحيد النقاش
تيمورلنك العظيم	مارلو	محمد علي زيد
فصل في مأساة الكونغو	ايمي سيزير	يحيى سعد
وشم الوردة	تنيسي ويليامز	محمد عبد الله الشفقي
فاصل غريب	اونيل	بهاء طاهر
طائر الشباب الجميل	تنيسي ويليامز	رمسيس شكري
ليس في الامكان ابدع مما كان	بيراندللو	محمد اسماعيل محمد نعيم جاب الله
خمس مسرحيات من فصل واحد	شون اوكيسي	احمد النادي
البناء الأول	هنريك ابسن	د. عبد الله البشير
تلميذ الشيطان	برناردشو	زغلول فهمي عريف
الرجل والمرأة	مارسيل ايميه	اسماعيل المهدوي
سينا	كورني	حمادة ابراهيم
المرة القادمة	جيمس ساندرس	منيرة عبد الجواد دكرودي
المرأة الصامتة	بن جونسون	صفوت عزيز جرجس
الصيف والدخان	تنيسي ويليامز	رمسيس شكري
عربة الصلصال الصغيرة	سودراكا	فاروق عبد المعطي

دراسات فى المسرح تحت الإعداد

اسم الكتاب	المؤلف	المترجم
مسرح العبث	د. نور شريف	
المسرح الشعرى	شفيق مقار	
المسرح الفرعونى	د. فايزة هيكل	
تاريخ المسرح اليونانى والرومانى	مارجريت بيبر	امين سلامة
العمل المسرحى (مكتبة علم الجمال)	هنرى جوهيى	على عطية
المسرح الهندى الكلاسيكى	هنرى ويلز	د. محمد اسماعيل الموافى فاروق عبد المعطى
مسرح الاحتجاج والتناقض	جورج ولورث	حسين اللبودى بكرى منير
مسرح العصور الوسطى فى الغرب		الاستاذ عبد الرحمن صدقى

اقرأ في هذه السلسلة لهؤلاء العمالقة :

- اسخيلوس
- سوفوكليس
- يوربيديس
- ارسطوفانيس
- شكسبير
- مارلو
- موليير
- راسين
- شريدان
- ابسن
- برنارد شو
- ت.س. اليوت
- تشيكوف
- لويجي برندللو
- يوجين اونيل
- وايلدر
- چان پول سارتر
- برخت
- دورنمات
- چان انوى
- آرثر ميللر
- البير كامي
- تنيسي وليامز
- جون اسبورن
- براندن بيهان
- اوكيسي
- جايلز كوبر

وكثيرين غيرهم

في العدد القادم « مارا / صاد » تاليف بيتر فايس

العدد ٤٢ الثمن ١٠ ص

المكتبة العربية

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة

في هذا العدد : الذباب (الندم)

تقوم المسرحية على أسطورة أورست في أرجوس حيث يقدم مع مربيه فيجد المدينة غارقة في الندم والذباب . ويحاول مربيه وشخص آخر ـ جوبيتر ـ أن يقنعاه بمغادرتها ولكنه يقرر البقاء فيها لأنها مدينته ولأن عليه أن يفعل شيئا ما يمنح حق الانتماء اليها من جديد. وكان ايجست قاتل أجاممنون وزوج أرملته يحكم المدينة تحت سطوة الشعور بالندم وكانت الكترا ابنة كليتمنستر وأخت أورست وحدها تكفر بهذا الدين ، فتحاول نصح الأهلين ويرتاع جوبيتر لذلك ويظهر بعض المعجزات لتخويفهم ويلتقي أورست بالكترا التي حلمت طوال حياتها بعودة أخيها يوما للانتقام من قاتلي أبيهما ويكشف لها عن حقيقته وبعدها يتحقق حلمها ويعود جوبيتر فيظهر من معجزاته ما ظنه يقنع أورست بالرحيل دون جدوى وعندئذ يحذر ايجست من أن أورست ينتوي قتله ويسأله هذا الأخير لماذا لا يمنع هو هذه الجريمة فيكشف له عن سر رهيب وهو أن الناس احرار ولا يستطيع كائن ولو كان الها أن يقف في سبيل حريتهم ويمضي أورست في قتل ايجست وكليتمنستر . وتصدم الكترا بالنتيجة فتقتنع بالندم أمام حجج جوبيتر . أما أورست فيتمسك بحريته في اختيار السلوك الذي يرتضيه هو ، لا الآلهة ويضطلع بمسئولية عمله ويرفض الندم على أمر لا يعتقد أنه خطأ ويغادر أرجوس مرفوع الرأس.

تأليف : جان بول سارتر . ترجمة وتقديم : الدكتور محمد القصاص .

في العدد القادم : « مارا / صاد »

تدور أحداث مسرحية « مارا / صاد » الشعرية في فترة مابعد الثورة الفرنسية فيتصور الكاتب لقاء يتم بين الماركيز دي صاد المعروف بشذوذه الجنسي وبنزعته الفردية وبين جان بول مارا ، أحد زعماء الثورة الفرنسية الشهيرة بميله للقسوة والعنف . ويتم اللقاء بينهما في لحظات مليئة بالتوتر ، وهي اللحظات السابقة على اغتيال مارا بيد فتاة « كوردي » جاءت من الريف ، وفي مخيلتها حلم مختلط بهلوسة دينية لانقاذ فرنسا .

ويلجأ بيتر فايس الى أسلوب « مسرح داخل مسرح » لعرض هذه الاحداث، التي يقوم بتمثيلها مرضى مصحة شارنتون العقلية . ونـ في حمام المصحة ، يحيط بها جمهور من المرضى العقليين كمتفرج المنادي بمهمة تقديم الشخصيات والاحداث التي يقطعها وآخر صوت الجماهير أو أغاني الكورس أو مشاهد التمـ « البانتوميم » .

ومن خلال الصراع الاساسي في المسرحية بين دي صاد الذي يـ نطاق الحرية الفردية كخلاص أساسي ووحيد للانسان وبين مارا الذ بالتغيير الاجتماعي مهما تطلب من قسوة كطريقة وحيدة للخلاص ، كل من وجهتي النظر لاعطاء مفهوم شامل للحرية والثورة .

المؤلف : بيتر فايس المترجم : د . يسرى خميس